# الوحي في خطاب المتأثرين
# بأفكار المستشرقين و "المبشرين"

د/ إيناس جلال محمود القصاص
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة
جامعة الأزهر

# الوحي في خطاب المتأثرين بأفكار المستشرقين و "المبشرين".

**إيناس جلال محمود القصاص**

**قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة – جامعة الأزهر – مصر**

البريد الإلكتروني: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

**الملخص:**

**حاولتُ المساهمة في الكشف عن واحدة من أهم الظواهر المعرفية التي استجدت في واقعنا المشاهد، وهي التأثر بتفسيرات غير المسلمين للوحي، وذلك من خلال رصد أهم المداخل التي اقترب منها هؤلاء، مثل: ادعاء أن البعثة المحمدية حالة من التعلم على يد الأقران، وادعاء أن البعثة المحمدية كانت من أثر الصفات الشخصية التي تحلى بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، والاقتراب من خلال مدخل سياسي واقتصادي. وهي أقوال، رُغم فداحتها وبعدها عن صريح الكتاب والسنة، منتشرة يرددها مسلمون، بل دعاة يدعون الناس للإيمان بالله وما أنزل على رسوله – صلى الله عليه وسلم – واتبعتُ منهج تحليل النص الاستنباطي، وتوصلتُ إلى عدد من النتائج من أهمها: أن الخيط الناظم، للمتأثرين بغير المسلمين، هو أن كل من اعتنق مذهبًا علمانيًا معاصرًا حاول قراءة الوحي من خلال رؤيته المذهبية الضيقة، وينطلق هؤلاء جميعًا من "حتمية تأثير البيئة والعوامل الوراثية"، ولذا أقترح على من أراد التصدي لشبهات هؤلاء أن يبين لهم ولمن يصغي إليهم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صناعة ربانية خالصة: ( إن هو إلا وحي يوحى ) ، وقد كان لسان حاله ومقاله – صلى الله عليه وسلم – ( إن أتبع إلا ما يوحى إلي ).**

**الكَلِمَاتُ المِفتَاحِيَّةُ** الوحيل – النبوة – الاستشراق – التنصير – البيئة – التخطيط والاستراتيجية – العبقرية.

# Revelation in the discourse of those affected by the ideas of orientalists and "missionaries".

Enas Jalal Mahmoud Al-Qassas

Department of Interpretation and Quran Sciences - College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Cairo - Al-Azhar University - Egypt

E-mail: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

**Abstract:**

I tried to contribute to uncovering one of the most important epistemological phenomena that have arisen in our witnessing reality, which is the influence of non-muslim interpretations of the revelation, by monitoring the most important approaches that these people approached, such as: claiming that the muhammadan mission is a state of learning at the hands of peers, and claiming that the mission muhammadiyah was one of the impact of the personal qualities that the messenger - may god bless him and grant him peace - had, and approached him through a political and economic approach. These sayings, despite their enormity and distance from the explicit book and sunnah, are widespread and repeated by muslims, but rather preachers calling people to believe in god and what was revealed to his messenger - may god bless him and grant him peace - and i followed the method of deductive text analysis, and i reached a number of results, the most important of which are: the organizing thread is for those affected with non-muslims, it is that everyone who embraced a contemporary secular doctrine tried to read the revelation through his narrow doctrinal vision, and all of them proceed from "the inevitability of the influence of the environment and genetic factors", and therefore i suggest to those who want to address the suspicions of these people to explain to them and to those who listen to them that the prophet - may god bless him and grant him peace may god bless him and grant him peace - a purely divine industry: (it is nothing but a revelation that is revealed), and he was the tongue of his condition and his saying - may god bless him and grant him peace - (i obey only what is revealed to me).

**Keywords:** illusion - prophecy - orientalism - Christianization - environment - planning and strategy - genius.

**مقدمة:**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:-

ذكر اللهُ العليم الخبير في كتابه أن بعضًا من المسلمين يتأثرون بخطاب الكافرين، أو يعاونون الكافرين على كفرهم وسعيهم في صدِّ الناس عن دين الله، يقول الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[1] أي: "ضَعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم"[2]، فثمة تأثر بخطاب المخالفين من المستشرقين و"المبشرين"، وثمة تعاون من بعض المنتسبين للإسلام، بقصدٍ أو بدون قصد، مع الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله.

ومن قبل قدَّم المستشرقون والمبشرون شبهاتهم على أنها قراءتهم-هم- للشريعة الإسلامية، وذلك حين كانوا يخاطبون من خلفهم من قومهم، أو-بالأحرى- حين كان مَن خلفهم لا يعرفون شيئًا عن الإسلام إلا من خلالهم. والآن بعد أن أصبح التواصل ممكنًا للكل مع الكل مباشرةً من خلال وسائل التكنولوجية الحديثة، تتلمذ نفر من المسلمين على أيدي المستشرقين، وتعلم نفر من كتاباتهم، فتأثروا بخطابهم وقالوا ببعض قولهم، وكانت السمة العامة أن أقبل هؤلاء على إعادة قراءة الشريعة الإسلامية من جديد من خلال مذاهبهم العلمانية التي آمنوا بها، فكانت النتيجة ظهور تفسيرات للبعثة المحمدية (الوحي كتابًا وسنة) من خلال مفاهيم علمانية مثل: ادعاء أن البيئة التي عاش فيها النبيﷺ هي مصد الوحي، ومثل: تفسير الوحي من خلال رؤية سياسية واقتصادية، ومن خلال القدرات الذاتية (العبقرية) والتخطيط

(١) سورة التوبة: من الآية٤٧.

(٢) ينظر: "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤١٨هـ)، ج٣، ص٨٣.

الاستراتيجي. وتستهدف الدراسة كشف هذه المسالك في فهم الوحي كأمثلةٍ[١] لبيان مدى تغلل المفاهيم العلمانية في الثقافة الإسلامية، ومن ثم الرد عليها ردًا مجملًا إذ لا يجمل أن ندرس الشبهة ولا نرد عليها، ولا تسعى الدراسة لاستقصاء المداخل التي يتواجد فيها المتأثرون بأقوال غير المسلمين، وإنما كشف الظاهرة ومعالجة بعض المداخل بما يتناسب مع دراسة بحثية، وإلا فمن المداخل الشهيرة–التي لم تتناولها الدراسة– الحديث عن أن النص القرآني الموجود الآن غير صحيح وأن ثمة مخطوطات قرآنية مفقودة لابد من البحث عنها، كأن النص القرآني كالنص النصراني واليهودي (الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث)[٢].

**أهداف الدراسة:**

أحاول من خلال هذه الدراسة الوصول لعددٍ من الأهداف، من أهمها:

١) كشف حالة التأثر بخطاب الكافرين وانتشار أفكارهم بين خواص المسلمين وعوامهم.

٢) الدفاع عن القرآن الكريم ضد من يحاول نفي صفة التنزيه عنه، والتقليل من أثره.

٣) كشف حال من يتكلم بالشبهات عن القرآن الكريم، والدين عمومًا، وكيف أنها حالة من الكذب وليست، أبدًا، حالة من البحث عن الحقيقة.

٤) كشف خطورة الأطروحات المتطرفة في كونها تؤدي إلى تمرير الأطروحات الأقل تطرفًا.

٥) المشاركة في معالجة ما استجد من قضايا تتعلق بالوحي قرآنًا وسنة.

---

(١)

(٢) ينظر: "**تاريخية الفكر العربي الإسلامي**" لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٦م)، ص٢٩٠، ٢٩١. وينظر: "**الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**"، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (بيروت، دار الساقي،١٩٩٩م)، ص٤٥.

## أهمية البحث:

تحاول الدراسة المساهمة في الجهد البحثي الذي يستهدف رد الشبهات التي يثيرها المستشرقون والمبشرون، بأنفسهم أو من خلال المتأثرين بهم، حول الوحي المنزل من رب العالمين على رسوله الأمين ﷺ، وذلك من خلال:

١) المساهمة في حقل علوم القرآن الكريم بتناول قضايا استجدت في واقعنا المشاهد، تتعلق بثبوتية الوحي المنزل على رسول الله ﷺ.

٢) المساهمة في حقل بحثي جديد، ظهر مع النوازل التي حلت بالأمة الإسلامية بعد تطور وسائل التواصل الاجتماعي وانتشار خطاب "المبشرين" والمستشرقين، وهو بيان مدى تغلغل المفاهيم العلمانية وانتشارها بين خواص المسلمين وعوامهم.

٣) المساهمة في ترسيخ مسارٍ جديد في التعاطي مع الشبهات المثارة حول الدين يتمثل، هذا المسار، في بيان المفاهيم الرئيسية المستخدمة في بث الشبهات وحال من يتحدث بالشبهات ومن أين يأتي بشبهاته وليس الاكتفاء فقط بالرد على الشبهات.

٤) بيان أن دخول غير المختصين في العلوم الشرعية، أولئك الذين تثقفوا بأنفسهم على ما انتشر من كتب دون الإفادة من التراكمية العلمية والمنهجية التي يقوم عليها الأزهر الشريف، لم يكن مفيدًا كله، بل كان بعضه ضارًا.

## المفاهيم الرئيسية:

تستخدم الدراسة أربعة مفاهيم رئيسية، هي: "الوحي"، و"الاستشراق"، و"التبشير"، أو "التنصير"، و"السماعون". وهذا بيان لهم حسب ما يرد في الدراسة:

**الوحـــي:**

يدور معنى الوحي في اللغة على الإعْلامِ في خفاء وسرعة، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا؛ وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا والكتابة تسمى وحيا(١)، وذكر الزجاج وغيره أمثلة من استعمال القرآن الكريم للوحي بالمعنى اللغوي(٢)، منها: إلهام الخواطر أو الإلهام الفطري، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾(٣) ومنها: الإلهام الغريزي للحيوان ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾(٤)، ومنها: الأمر الكوني للجمادات ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾(٥)، ومنها ما يلقيه للملائكة ليفعلوه: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٦)، ومنها: الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح كإيحاء زكريا، عليه السلام، إلى قومه، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾(٧)، ومنها: وسوسة الشياطين ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام: ١١٢

(١) ينظر: "**لسان العرب**" لمحمد بن مكرم بن منظور، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج١٥، ص٣٨١. وعبارة صاحب "تاج العروس من جواهر القاموس" وصاحب "تهذيب اللغة"، متطابقة مع ابن منظور.

(٢) ينظر: "**معاني القرآن وإعرابه**" لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٣، ص٢١٠

(٣) سورة القصص: من الآية ٧.

(٤) سورة النحل: آية ٦٨.

(٥) سورة الزلزلة: آية٥.

(٦) سورة الأنفال: من الآية ١٢.

(٧) سورة مريم: آية١١

والوحي شرعًا معنى خاص من المعنى اللغوي، ويتناول كل ما كان من الله تعالى لنبي من الأنبياء[١]، والدراسة تستخدم الوحي لدلالة على القرآن الكريم والسنة النبوية .

**الاستشراق:**

كلمة مركبة، فأول الكلمة (الألف، والسين، والتاء)، تأتي لطلب الشيء، وباقي الكلمة مأخوذ من الفعل الثلاثي "شرق"، وتعني أخذ بناحية الشرق[٢]، فيكون المعنى اللغوي للكلمة طلب الشرق. والمعنى الاصطلاحي: "دراسة الشرق من حيث الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها[٣]"، أو "دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته"[٤]، وحسب هذه التعريفات فإن الاستشراق يبدو محايدًا، وموضوعيًا في تعاطيه مع قضايا المسلمين، ولكن ثمة وجهة نظر أخرى ترى أن الاستشراق عبارة عن "دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص، للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة، وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظمًا وثروات وإمكانات بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية

(١) ينظر: "**دراسات في علوم القرآن**" لفهد بن عبد الرحمن الرومي، (الرياض، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١٧٧.

(٢) ينظر: "**المعجم الوسيط**" ل إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، (القاهرة، دار الدعوة، د.ت)، ج١، ص٤٨٠.

(٣) ينظر: "**الاستشراق وجه الاستعمار الفكري**"، لعبد المتعال الجيري، (القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٥م)، ص١٣.

(٤) ينظر: "**المستشرقون والدراسات القرآنية**"، لـ محمد حسين علي الصغير، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م)، ص١١.

وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[١]، ويؤيد هذه النظرة الدكتور محمود حمدي زقزوق فهو يرى أن الاستشراق كان ولا يزال جزءًا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكننا القول: إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع[٢]، وهذا المعنى الأخير هو المقصود في سياق الدراسة فإن كان بعض الاستشراق مفيدًا فإن المستهدف هنا هو الأطروحات التي حاولت نفي نزول الوحي من الله العلي الكبير على نبيه الصادق الأمين ﷺ.

## التبشير:

و"التبشير" هو "التنصير" ويقصد به دعوة الناس للدخول في النصرانية. وهو ظاهرة متجددة ومتطورة في آن واحد. وتطورها يأتي في تعديل الأهداف، وفي توسيع الوسائل ومراجعتها بين حين وآخر، تبعا لتعديل الأهداف، ومن ذلك اتخاذ الأساليب العصرية الحديثة في تحقيق الأهداف المعدلة، حسب البيئات والانتماءات التي يتوجه إليها التنصير، حتى وصلت هذه الظاهرة عند البعض، إلى أنها أضحت علما له مؤسساته التعليمية ومناهجه ودراساته ونظرياته، وقد تنبه المسلمون إلى هذه الحملات منذ القدم، ووقف لها العلماء والولاة والمفكرون وعامة الناس، بحسب قدراتهم العلمية والسلطانية، فقامت ردود علمية على النصرانية المحرفة. وقامت كذلك تنبيهات ورصد للأنشطة التنصيرية في المجتمع المسلم بخاصة، وفي العالم بعامة. [٣]

(١) ينظر: " **رؤية إسلامية للاستشراق**"، لـ أحمد غراب: (لندن، المنتدى الإسلامي،١٩٩٠م)، ص ٧.

(٢) ينظر: "**الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**" لمحمود حمدي زقزوق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

(٣) ينظر: "**التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**"، لعلي إبراهيم الحمد النملة، (القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع،١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٥، ٦.

**السمَّاعون للكافرين:**

وصف الله نفرًا من خلقه بصفة السماع لغير المسلمين، وذلك في قوله تعالى: "﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾[2]، والمعنى: "سماعون للكذب" أي"يستجيبون له، منفعلون عنه، (سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ)، أي يستجيبون لقومٍ آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد"" (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) أي: يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون"[3]. والدراسة تستهدف كشف هذا الفصيل من الناس وكشف المفاهيم الرئيسية التي يحاولون ترويجها، وكشف التعاون المشترك بينهم وبين غير المسلمين من المستشرقين و"المبشرين"، لبيان أننا لا نواجه شبهات حقيقية وإنما نواجه حالة من التلبيس على عوام الناس وبعض خواصهم.

**منهجية البحث:**

تعتمد الدراسة على منهج تحليل النص الاستنباطي، وذلك بقراءة عدد من النصوص المتعلقة بالوحي في كتابات المستشرقين و"المبشرين" والمتأثرين بهم، ومن خلال التحليل يتم استخلاص المفاهيم الرئيسية التي يحاولون تفسير الوحي من خلالها، ومن ثم بيان المداخل التي يأتون منها والمبدأ العام الذي يحكمهم. فهو انطلاق من الجزئي للكلي. وأطلقت وصف "أفكار" على ما تحدث به المستشرقون والمبشرون والمتأثرون بهم لأنها لا تعدوا أفكار عابرة، ويصعب أن تكون عقيدة راسخة عندهم هم قبل غيرهم.

---

(١) سورة المائدة: من الآية٤١.

(٢) سورة التوبة: من الآية٤٧.

(٣) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٥٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٣، ص١١٣. وينظر: "**مفاتيح الغيب**"، لأبي عبد الله محمد الرازي (الفخر الرازي)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج١٦، ص٦٤.

**خطة البحث:**

ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تشمل المقدمة بيان السياق المعرفي الذي تكوّن من خلاله موضوع الدراسة، ثم الأهداف الرئيسية التي تحاول الدراسة تحقيقها؛ والمفاهيم الرئيسية المستخدمة، بالإضافة إلى المنهجية المتبعة. وفي المباحث الثلاثة تمت مناقشة المفاهيم الرئيسية التي انتشرت في أطروحات السمّاعين للكافرين وهم يفسرون البعثة المحمدية (الوحي كتابًا وسنة)، وأردفت كل ادعاء بردٍ موجز، إذ لا يجمل أن نأتي بالشبهة ثم لانرد عليها، ولا يجمل، أيضًا، أن ننصرف إلى ردٍ تفصيلي يشتت القارئ ويذهب بنا عن هدف البحث الرئيسي (بيان مدى تأثر طائفة من المسلمين بأقوال غير المسلمين عن الوحي)، والمباحث الثلاثة هي:-

**المبحث الأول:** ادعاء التكوين العلمي من البيئة والأقران.

**المبحث الثاني:** التفسير من خلال العبقرية وحسن التدبير.

**المبحث الثالث:** التفسير السياسي والاقتصادي للوحي.

ثم الخاتمة وفيها تلخيص للبحث ورصد لأهم نتائجه.

**تمهيد:**

تعد فكرة "التأثر بالبيئة"، بمعنى أن البعثة المحمدية إفرازٌ للبيئة التي عاش فيها الرسول ﷺ أو أن ما جاء به النبي ﷺ كان امتدادًا لما كان سائدًا في بيئته الصغيرة (قريش/ مكة المكرمة) خصوصًا والبيئة العربية عمومًا، الفكرةَ الرئيسيةَ التي يحاول من خلالها "المستشرقون" و"المبشرون" و"السماعون لهم" نفي رسالة النبي، ﷺ (الوحي). وربما كان السبب في ذلك سيطرة مفاهيم علم الاجتماع الحديث على عامة الحقول المعرفية المتعلقة بالدراسات الإنسانية. وذلك أن علم الاجتماع الحديث ينطلق من أن للواقع قوانين حتمية يفرضها على عموم الناس(١). ولكي يتضح المقال أضرب مثلًا بما ورد في كتابات خليل عبد الكريم(٢)، يقول عن شخص النبي ﷺ: "ولذا فإنه لابد وبطريق الحتم واللزوم أن يتأثر بالنسق الاجتماعي والنظام الحضاري السائدين في محيطه"(٣)، ويقول عن الأنبياء وعظماء الناس الذين يُحدثون أثرًا في الواقع المعاش: "فإنهم لابد يتأثرون بالمجموع أو الجماعة؛ فالعلاقة بين الفرد مهما سما قدره والمجتمع والجماعة علاقة تبادلية وينتج بين الطرفين تكامل عضوي ديناميكي، هذه حقيقة علمية قال بها علماء الاجتماع"(٤). وكرر ذات الكلام في مقدمة كتابه "مجتمع يثرب" حيث يقول: "وعلم الاجتماع يؤكد لنا أن تغيير أحوال أي مجتمع لا يتم بتأثير النصوص

(١) ينظر: "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، لعبد الرحمن بن خلدون، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١، ص١٣.

(٢) خليل عبد الكريم (١٩٣٠-٢٠٠٢)، محامي، من أهل مصر، ذو توجهات يسارية (كان عضوًا نشطًا بحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي اليساري)، اشتهر بالكتابة في السيرة النبوية، وبرز اسمه مدافعًا عن نصر حامد أبو زيد في منتصف التسعينات، لترجمة تفصيلية عنه وعرض لأهم كتبه، ينظر: "خليل عبد الكريم الشيخ الأحمر"، لخدلون الشرقاوي، موقع حفريات، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٣:https://cutt.us/oaene

(٣) ينظر: "**الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية**"، لخليل عبد الكريم، (القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٠)، ص١٠٧.

(٤) ينظر: "**الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية**"، لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص١٠٧.

مهما كان شأوها من البلاغة والإعجاز"[١] وهو هنا يفتري كذبًا وذلك حين يشير إلى أن التأثير كان بالبلاغة والإعجاز، وأنه كان محدودًا جدًا لم يحدث تغييرًا حقيقيًا، وهذا غير صحيح فقد حدث تحول جذري يشهد لذلك ما قاله جعفر بن أبي طالب بين يدي النجاشي:" أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه، الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعد عليه أمور الإسلام. فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله عز جل"[٢]. بل إنه يصرح بأن الأثر الذي ظهر على يد الرسول ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم، لم يكن بتأثير القرآن الكريم والسنة النبوية وإنما جاء بمؤثرات البيئة! ومن أمثلة ذلك ادعائه أن مجتمع الصحابة لم يتغير كثيرًا عن مجتمع الجاهلية، وأن "العلاقة بين الرجل والمرأة ظلّت كما كانت في الجاهلية (علاقة ذكر وأنثى)، وأنها كانت المحور الذي يدور حوله ذلك المجتمع وأن محمدًا [٣] بذل جهودًا تفوق طاقة البشر ليتسامى ذلك المجتمع بها ولكن لرسوخ ذلك النسق الاجتماعي وتجذره وضربه حتى الأعماق فيه هذا من جانب ولقصر المدة التي قضاها محمد بين جنباته من جانب ظل ذلك المجتمع على حاله ولم

(١) ينظر: "**مجتمع يثرب: العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي**" لخليل عبد الكريم، (القاهرة: سيناء للنشر، ١٩٩٧م)، ص٧.

(٢) ينظر: "السيرة النبوية" لعبد الملك بن هشام، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ)، ج٢، ص١٧٩.

(٣) مررت على ما كتب. لم أكد اترك منه شيئًا. ولم أره يصلي على الرسولﷺ إلا نادرًا، ويصفي النبي ﷺ بأوصاف يفهم منها السخرية.

يتغير إلا بنسبة ضئيلة"[١] يقول: "لم يتغير مجتمع يثرب، وظلت العلاقة القائمة هي العلاقة بين ذكر وأنثى كما قد كانت في الجاهلية (فحولة وأنوثة)"[٢]. ويقول: "إن سنن الاجتماع ترفض أن تتغير الأنساق الاجتماعية في مجتمع معين وخاصة تلك التي استمرت مئات السنين، في بضعة أعوام؛ قد تنجح دعوة في تهذيب عشرات من المحيطين بالداعية ولكن القاعدة الشعبية العريضة تظل محتفظة بأنساقها وعاداتها، ولا تتغير عندها إلا إذا تغيرت ظروفها المادية، مثل: طرق الإنتاج وأدواته ووسائله، بل إن بعض الملتفين حول صاحب الدعوة تغلب عليهم أعرافهم وطبائعهم المركوزة في أعماق نفوسهم والتي شبوا وشابوا عليها قبل اتصالهم به أو اتصاله بهم)[٣].

والهدف من استحضار هذه النصوص من كلامهم هو بيان أنهم لا ينطلقون من حقيقة علمية ثبتت بالنص الصريح أو بالتجريب العلمي، وإنما ينطلقون من مقولات نظرية (فرضيات) تتأرجح بين الظن واليقين. بل يظهر بيقين عدم ثبوتها إلا في نطاق محدود، وذلك أن حديثهم ينطبق على بعض الظواهر الاجتماعية وخاصة في المجتمعات التي لا تمتثل للشريعة الإسلامية، وليس على كل الظواهر الاجتماعية وخاصة مجتمع النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم[٤]. وأمارة ذلك تَعَدُد التفسيرات مع تضاربها. فلو أنهم يمتلكون حقيقة علمية لما تعددت أراءهم وتضاربت. وكذلك فإن في تعدد الآراء وتضاربها أمارة على أنها حالة من تعمد تضليل الناس وصدهم عن سبيل الله، وليست حالة من كشف

(١) ينظر: "**مجتمع يثرب– العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي**" لخليل عبد الكريم، (القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٧)، ص٢٧.

(٢) ينظر: "**مجتمع يثرب– العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص٢٧.

(٣) "**مجتمع يثرب– العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص٢١.

(٤) ينظر: "علم الاجتماع: غبش في التصور وتشويش في النظرية"، لأحمد إبراهيم خضر، أخذ من موقع الألوكة بتاريخ٢٠٢٢/١٢/٢٢: https://cutt.us/FVt9x

حقيقةٍ ما؛ ويؤيد ذلك أنه قد تم الرد على ما يثار من شبهات حول الوحي مرارًا ومع ذلك تتكرر ذات الشبهات بعد الرد عليها، وفي هذا أمارة على أن المتكلم بالشبهة لا يريد جوابًا، وإنما يريد صرف الناس عن دين الله، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾(١).

ويرد على هؤلاء بأن حال المرأة تغير كثيرًا، إن لم يكن كليةً، في الإسلام، فقد كرمت المرأة وأعطيت حقوقًا كثيرة لم تكن لها في الجاهلية، من ذلك الحق في الحياة فحرَّم الله وأدها (دفنها حية بعد مولدها)، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾(٢)؛ وأعطاها حق اختيار الزوج وفي الصحيح "الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ وَإِذْنُهَا سُكُوتُهَا"(٣)، وإن أُجبرت على الزواج فإن لها الحق في فسخ النكاح، وفي الصحيح عن خنساء بنت خِذَام الأنصارية رضي الله عنها: "أَنَّ أَبَاهَا – رضي الله عنه – زَوَّجَهَا وَهْيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّ نِكَاحَهُ"(٤). وأكثر من هذا أن جُعل لها الحق في مفارقة زوجها إذا لم ترض عنه سواء كان لعيب فيه أو لعدم الميل العاطفي له، وفي الحديث أن امرأةَ ثابت بن قيس بن شمَّاس جاءت إلى النبي، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنْقِمُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلَا خُلُقٍ، إِلَّا أَنِّي أَخَافُ الْكُفْرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ). قَالَتْ: نَعَمْ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ فَفَارَقَهَا"(٥)، وجعل لها الحق أن

(١) سورة آل عمران: من الآية٧

(٢) سورة التكوير: الآيات ٨ – ٩.

(٣) ينظر: "**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**" **للإمام مسلم بن الحجاج**؛ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، ج٤، ص١٤١.

(٤) ينظر: "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه**"، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، مرجع سابق، كتاب الإكراه، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، ج٥، ص١٩٧٤.

(٥) ينظر: "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه**"، مرجع سابق، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيفية الطلاق فيه، ج٥، ص٢٠٢٢.

تتزوج من تشاء بعد الطلاق دون تدخل ممن طلقها، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾[1] ؛ وجعل لها الحق في التعليم فقد أجابهن النبي ﷺ حين طلبن يومًا للتعليم كما الرجال[2]؛ وكرمها بالحجاب، فبعد أن كن يطفن بالبيت عراة أمرهن بالستر والزينة في غير إسراف[3] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[4]. وجعل الولاية عليها، بنتًا أو زوجة أو غير ذلك، ولاية إحسان ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[5]، وجعل لها الحق في التصرف في مالها متى كانت مكلفة (بالغة رشيدة) ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾[6]، فأمر إلى دفع المال لكل يتيم بلغ رشده ذكرًا كان أم أنثى. وجملة: نهض بها من مجرد متاع يورث كما تورث الأشياء إلى مصاف الرجل أو يكاد، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ البقرة: ٢٢٨

ويرد عليهم بأن الوحي من الله، وليس من البيئة، ولذا حاجَّ اللهُ الكافرين بقوله، سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ

(١) سورة البقرة: الآية٢٣٢.

(٢) ينظر: " **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**" للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ج٤، ٢٠٢٨.

(٣) ينظر: "**أسباب نزول القرآن الكريم**" لعلي بن أحمد الواحدي، (الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)

(٤) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٥) سورة الطلاق: الآية٧.

(٦) النساء: من الآية٦.

لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[١]، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[٢]

وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[٣] ، "ومعنى: ما كنت تتلو من قبله من كتاب أنك لم تكن تقرأ كتابًا، حتى يقول أحد: هذا القرآن الذي جاء به هو مما كان يتلوه من قبلُ، ولا تخطه أي لا تكتب كتابًا ولو كنت لا تتلوه، فالمقصود نفي حالتي التعلم، وهما التعلم بالقراءة والتعلم بالكتابة استقصاءً في تحقيق وصف الأمية، فإن الذي يحفظ كتابًا، ولا يعرف يكتب لا يعد أميًّا كالعلماء العمي، والذي يستطيع أن يكتب ما يلقى إليه، ولا يحفظ علمًا لا يعد أميًّا مثل النساخ، فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية"[٤].

ينطلقون من هذه الفرضية (حتمية تأثير البيئة) ثم يتحركون في مسارات مختلفة، أهمها: التفسير السياسي والاقتصادي للبعثة المحمدية (الوحي كتابًا وسنة)؛ والتفسير من خلال العبقرية والتخطيط الاستراتيجي؛ وادعاء أن النبي ﷺ تعلَّم على يد أقرانه.

وقد خصصت لكل مسار مبحثًا، ثم أردفت هذه المباحث بمبحثٍ لبيان حال هؤلاء والرد عليهم، وذلك على النحو التالي:-

(١) سورة يونس: آية ١٦.

(٢) سورة القصص: آية ٨٦.

(٣) سورة العنكبوت: آية٤٨

(٤) ينظر: "**التحرير والتنوير**"، لمحمد الطاهر بن عاشور، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠/٢٠٠٠)، ج ٢٠، ص١٨٥.

## المبحث الأول:

## ادعاء التكوين العلمي من البيئة والأقران

انطلاقًا من أن "البيئة" هي الأساس في تكوين ما يظهر عليها من أشياء وتشكيكًا، أو إنكارًا لنزول وحي من الله الكبير المتعال على من اصطفاه من خلقه وأرسله إلى الناس ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[1] ظهرت في أطروحات غير المسلمين والمتأثرين بخطابهم ادعاء أن الوحي كان تعليمًا للنبي ﷺمن خلال معاصريه. وأحاول في هذا المبحث الكشف عن سياق متصل بدايته من الكافر ونهايته عند مَن نحسن بهم الظن ممن يتصدرون لدعوة الناس إلى دين الله، والهدف من عرض هذا السياق هو التأكيد على محور البحث الرئيسي وهو انتشار شبهات الكافرين بين المسلمين، تنبيهًا، وتحذيرًا، واستنفارًا للرد عليها من المختصين ونشر الردود من المهتمين بتعليم الناس ودعوتهم إلى الله، وأبدأ بما ورد في كتابات قس نصراني "جوزيف قزّي"، نشرت كتاباته باسم إسلامي (أبو موسى الحريري) و (أنور ياسين)، ثم بمن تأثر بكتاباته من المسلمين، ليتضح سياق المصدر والمتأثرين به.

جمّع القس النصراني "جوزيف قزّى" شبهاته حول الإسلام في سلسلة كتب تحت عنوان "الحقيقة الصعبة"، وصدّرها بكتابٍ هذا عنوانه: "قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام"[2]، وفيه ادعى أن النصرانية كانت منتشرة بالجزيرة العربية [3]، وادعى وجود "جماعة نصرانية ذات كيان وشأن في مكة وأن هذه الجماعات أقام عليها قس "يدير شؤونها الروحية، ويرعى أمورها الزمنية والاجتماعية، وهو القس ورقة بن نوفل،

(١) سورة الحج: آية٧٥.

(٢) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، (لبنان، دار لأجل المعرفة، ٢٠٠٥).

(٣) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص١٩.

قس مكة وزعيم قريش"[١] ، بل ادعى "تنصر الكعبة نفسها بما فيها من آثار وصور"[٢] ، وعلى ظهر مئات الصفحات يتحدث عن مكة وكأنها كانت نصرانية، وكأنَّ النصارى كانوا أمة من الناس ظاهرين على غيرهم في مكة والجزيرة العربية، يصور البعثة وكأنها كانت تخطيطًا من ورقة ابن نوفل وابنة أخيه خديجة بنت خويلد وعمه أبي طالب، يدعي أن هؤلاء الثلاثة هم الذين خططوا للبعثة وأعدوا النبي ﷺ لها[٣]، وأن النبيﷺ لازم ورقة ابن نوفل لأربعةٍ وأربعين سنة متعلمًا منه "الإنجيل العبراني"، حيث يدعي أن ورقة ابن نوفل لم يصله إلا إنجيل واحد هو الإنجيل العبراني، وأن هذا الإنجيل هو الذي علَّمهُ للنبيﷺ وأن هذا الإنجيل هو الذي تحدث عنه القرآن الكريم بعد ذلك[٤] . مع أنه، في ذات السياق، يعترف بعدم وجود معلومات كافية عن القس ورقة[٥]، ومع أنّ عامة الأخبار القليلة التي أخذ منها هذه الادعاءات إنما جاء بها من كتب التاريخ التي لا تتحق من الرواية ولا من السند كما تفعل كتب الحديث، ومع أن القرآن الكريم تحدث عن إنجيلٍ واحدٍ أنزله الله على عيسى بن مريم عليه السلام، وهو مذكور في رسائل بولس(إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيل آخَرَ!)[٦] وفي الأناجيل باسم "إنجيل المسيح"[٧]، وفي القرآن الكريم أنهم كتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا هذا من عند

(١) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص١٩، ٢٠. وانظر ص ٣٧- إلى ص٣٩.

(٢) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص١٩.

(٣) مثل هذا الادعاء محورًا رئيسيًا فُسِّرَ به الوحي، وكرره أكثر من مرة في كتابه بألفاظ متقاربة ليأكد عليه، انظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص٨٤، وص٨٨.

(٤) عقد فصلًا كاملًا تحت عنوان: "القس يدرب النبي" من ص ٥٣ إلى ص٦٠، وقدم قبل هذه الصفحات شرحًا للإنجيل العبراني

(٥) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص١٥.

(٦) ينظر: رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٦/١. أخذ من موقع "الكتاب المقدس" بتاريخ ٢٠٢٢/٦/١٢: https://www.enjeel.com/bible.php?op=read&bk=48

(٧) لمزيدٍ من اعترافات الآباء عبر العصور عن وجود إن إنجيل خاص بالمسيح غير الذي كتبه الكتبة بأيديهم وقالوا هذا من عند الله، ينظر" الإنجيل الصحيح.. إنجيل المسيح"، لمنقذ محمود السقار، موقع طريق الإسلام، قسم المقالات، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٥/١٣، من الرابط: https://2u.pw/0TSYG

الله ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وأظهر خليل عبد الكريم معارضة للمستشرقين في بعض القضايا مثل إثباته لأمية النبي ﷺ وعدم تنكره للمعجزات (خوارق العادات)[2] ولكن هذه المعارضة شكلية، فهو يعد المعجزات من مبالغات العامة والمشعوذين، ومن حكايات الأساطير الشعبية؛ ويثبت للنبيﷺ صفة الأمية بيد أنه يؤكد على أن خديجة، رضي الله عنها، كانت قارئة كاتبة عالمة درست النصرانية وتدارستها مع رؤوس النصرانية في مكة والجزيرة العربية[3]، وأن النبي، صلى الله عليه وسلم كانت له "ذاكرة حديدية وحافظة واعية أشد الوعي" بمعنى أنه كان يحفظ ما كان يُقرأ عليه من خديجة وورقة بن نوفل دون حاجة لأن يقرأ هو أو يكتب[4]. فالتقى خليل عبد الكريم مع المستشرقين عند ذات الهدف الذي ينشدونه وهو أن الوحي من مدارسة كتب الأولين، هم يقولون: درس النبيﷺ بنفسه، وهو يقول درس غيره ولقنه.

وظهرت أفكار القس "جوزيف قَزِّي" عن الوحي في كتابة "قس ونبي" مع قليل من التعديل في كتابات خليل عبد الكريم، حيث وافق "جوزيف قزي" في ادعاء أن النصرانية انتشرت في الحجاز وقبائل قريش في مكة[5]، وخاصة في فرع عبد العزي (أقارب ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد)[6]؛ وإذا كان "جوزيف قَزِّي" قد ادعى أن

---

(١) سورة البقرة: آية٧٩.

(٢) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، (القاهرة، دار مصر المحروسة، ٢٠٠٤)، ص١٩-٢٢. و ص١٠٨ ، و ص ١٣٣، ١١٤، وص١٢٧، و ص ٢٠٢.

(٣) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص٢٨٣-٢٩٩.

(٤) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، ص٢٧٠- ٢٧١، وطرق الموضوع أكثر من مرة في كتابه ولكنه ركز فكرته في هذه الصفحات تحديدًا.

(٥) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٦) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص٩، وص١٠٤، وص١٢٧.

الوحي كان مشروعًا لورقة بن نوفل فإن خليل عبد الكريم ادعى أن البعثة كلها كانت مشروعًا خاصًا بخديجة بنت خويلد[١]، استعانت فيه بابن عمها "قس مكة ورقة بن نوفل" ومن كان بمكة من غلمان النصارى الأوربيين أو الأحباش[٢]؛ واقتصر دور الحبيب ﷺ على تلقي تعليمات خديجة ومن حولها ومن ثم التنفيذ[٣].مع أنه يعترف بقلة ما ورد عن خديجة رضي الله عنها من معلومات وأن عامة ما تحدث به استنباطات خاصة به[٤]، ويتوافق مع "جوزيف قزّي" في الزعم بأن الوحي تأثر أو نقل عن "إنجيل العبرانيين" الذي حملته طائفة الأبيونيين، وتعليم مباشر من خديجة وورقة للنبي ﷺ[٥].

وإن كل من ادعى أن النبي ﷺ تعلم من غيره اصطدم بأمية النبي ﷺ وراح ينفيها، ومنهم "جوزيف قزّي" فقد اشتد في نفي أمية النبي ﷺ وادعى أنه تعلم الكتابة والقراءة في الصغير، وأن معنى أمي في القرآن الكريم تنصرف لمن ليس لهم كتاب منزل يقابلها– حسب قزّي ومن وافقه– "كتابيون"، وأن جبريل حين جاء للنبي ﷺ في غار حراء جاءه بكتابٍ ودفعه إليه ليقرأه ويزعم إجماع المسلمون كلهم على هذا[٦]، وأن النبي ﷺ تعلّم العلوم الطبيعية في بيت أبي طالب، وكأن أبا طالب كان فيلسوفًا عليمًا حكيمًا[٧]. وهنا تبرز أحد السمات الرئيسية في خطاب غير المسلمين ومن وافقهم وهي التعارض والتضاد في أقوالهم، ونسأل: هل تعلم النبي ﷺ من ورقة ابن

---

١) على ظهر أكثر من ثمانين صفحة من الكتاب يحاول اثبات أن خديجة هي التي خططت للبعثة وأنها هي التي كانت تدير المشهد، بعكس جوزيف قزي الذي ادعى أن "ورقه بن نوفل" هو الذي كان يفعل ذلك!!

(٢) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص١٢٩.

(٣) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص١٨.

(٤) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص١٢١، و ص ٢٣٥ .

(٥) ينظر: "**فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**" لخليل عبد الكريم، مرجع سابق، ص ١٥٣–١٥٥، وص١٦٠. وفي ص ١٥٤ تكاد تكون عبارته متطابقة مع عبارات جوزيف قزي في حديثه عن "إنجيل العبرانيين".

(٦) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص٦٠–٦٤.

(٧) ينظر: "**قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام**" لأبي موسى الحريري، مرجع سابق، ص٦٦.

نوفل؟، أم تعلم من أبي طالب؟، أم تعلم من الكتاب الذي جاءه به جبريل عليه السلام؟.

في ذات السياق من ذات الكتاب وفي صفحات متتالية تجد ثلاثة إجابات لا يمكن أن يكون أحد منها صحيحًا فضلًا عن أتكون كلها. وهذه كتب طبعت طبعات كثيرة، بمعنى أنها روجعت أكثر من مرة، وهذا التضارب يعكس حالة من التردد والحيرة، وأنهم فقط يبحثون عن شيء يشوشون به على المؤمنين بالله وما أنزل على رسوله ﷺ ، وليست، أبدًا، حالة من البحث عن الحقيقة.

ويعد "توفيق فهد[١]" أحد الذين أصغوا لأقوال المستشرقين عن الوحي وتأثروا بها، ودافعوا عنها، بل ورددوها وزادوا فيها[٢]. ونشرت أفكاره بيننا على أنها أفكار مسلمين. فظهرت ذات الفكرة (إعطاء تفسيرات أرضية للوحي) في كتاباته، حيث اعتبر ما انتشر في البيئة العربية قبل الإسلام، مثل تعاطي السحر والعرافة والكهانة مقدمة للنبوة، أو الصورة الأولى للنبوة، بمعنى أن النبوة تطورت من بعض المعطيات في البيئة (الكهانة والعرافة والسحر)، يقول: "ثمة انطباع قوي في الواقع بأن العرّاف المتمرس والمتقن لصناعته كان بمقدوره أن يبلغ الدرجة العليا التي بلغها النبي وأصحاب الوحي. وسيكون بالوسع الذهاب إلى حد الظن بأن كل نبي كان عرافًا تقريبًا قبل أن تتفتح لديه ملكة إدراك الغيب"[٣]، ويتحدث عن وجود علاقة واسعة، أو حضور واسع للشياطين والملائكة مع نوعيات مختلفة من البشر، وليس فقط

(١) لبناني، ماروني، مؤسس ورئيس قسم الدراسات العربية والاسلامية في جامعة ستراسبورغ بفرنسا، وقدم عددًا من الأبحاث عن الإسلام من أهمها كتاب "الكهانة عند العرب" وكتاب" الألوهية عند العرب"، ينظر: "ذكرى العلامة توفيق فهد"، موقع الحركة الثقافية– أنطلياس، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥، من الرابط: https://cutt.us/AYhEX

(٢) ذكر ذلك رضوان السيد في تقديمه لكتاب توفيق فهد، وذكره توفيق فهد نفسه في بداية كتابة، ينظر: "**الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العرّاف، الرّب، ذو إله، الحُمس**" لتوفيق فهد، ترجمة: حسن عودة، رندة بعث، (بيروت، قَدْمُس للنشر والتوزيع،٢٠٠٩)، ص١٧–١٩، ص٢١–٢٢.

(٣) ينظر: "**الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العرّاف، الرّب، ذو إله، الحُمس**" لتوفيق فهد، مرجع سابق، ص ٦٨.

الأنبياء، مثل الشعراء والكهنة والعرافين[١]. وراح يُعدد الحالات التي يأتي بها الوحي للنبيﷺ بعد إدخال بعض التحريفات عليها، على أنها «علامات النبوة» ليقول بأنها متقاربة مع ما كان يصيب الكهان والسحرة والمشعوذين، وعقد عناوين جانبية لما كان يفعله النبيﷺ من تأويل للأحلام والتفرس والتفاؤل والإنباء بغير كما في غزوة مؤتة وغيرها، ليقول بأن النبوة حالة مشابهة للكهانة والعرافة، أو حالة متطورة منها[٢]. ويذكر أن "الكهانة والنبوة متقاربتين متداخلتين، مكملتين لبعضهما بعضًا، ففي لحظات عديدة كان النبي ينزل، مثلما رأينا، إلى مستوى عراف بسيط، أو كان العراف يرقى إلى مستوى النبي ونحن لا نعدم أن نجد أمثلة على مثل هذه المواقف في سلوك النبي محمد"[٣].

وبلغة تطفح بالسخرية يتحدث عن تنبأ العرافين والكهنة، والفلاحين، والقادة، وكل شيء بقدوم النبيﷺ، وكأنها كانت ثقافة، أو كان مطلبًا فجاء النبيﷺ إفرازًا لهذه الثقافة المنتشرة، أو متوافقًا مع هذه الثقافة المنتشرة[٤].﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[٥]

وأما "هشام جعيط[٦]" فقد حاول تقديم رؤية للوحي من خلال استنطاق النص

(١) ص٧٣-٧٤.

(٢) ينظر: "**الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العرّاف، الرّب، ذو إله، الحُمس**" **لتوفيق فهد**، مرجع سابق، ص: ٧٤-٧٦

(٣) ينظر: "**الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العرّاف، الرّب، ذو إله، الحُمس**" لتوفيق فهد، مرجع سابق، ص٨١.

(٤) ينظر: "**الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العرّاف، الرّب، ذو إله، الحُمس**" لتوفيق فهد، مرجع سابق، ص٧٩-٨١.

(٥) سورة النحل: آية١٠٣.

(٦) هشام جعيط(١٩٣٥-٢٠٠١م)، تونسي، أكاديمي، حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة السوربون، وشغل منصب رئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) بين ٢٠١٢ و٢٠١٥ كما كان عضواً في الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون اهتم بدراسة وتحليل الشخصية العربية المسلمة، والمدينة الإسلامية، والسيرة النبوية بخليط من المناهج المتعلقة بعدد من العلوم كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأديان والفلسفة، وبعيدًا عن التحليل الإيماني، ينظر:"هشام جعيط" موقع المعرفة، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥ من الرابط: https://cutt.us/yagtP

القرآني دون السنة النبوية فأنكر بدء الوحي في غار حراء بدعوى أن القصة التي فيها لقاء النبيﷺ بجبريل في غار حراء- مع أهميتها عند المسلمين- لم تذكر في القرآن الكريم، وإنما ذكرت في سيرة ابن إسحاق، وعلى أنها رؤيا منامية(١)؛ وادعى أن القصة مستوحاه من التوراة ويستحضر ما ورد في "سفر التكوين" من مصارعة بين الله ويعقوب، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. واشتد في إنكار أمية النبيﷺ ويفسر النبي الأمي بأنه "النبي المبعوث من غير بني إسرائيل"(٢)، ويصرح بأن القرآن "لا يذكر صراحة أن محمدا لا يحسن القراءة والكتابة"(٣)، وأكد مرارًا على أن محمدًاﷺ "كان يحسن القراءة والكتابة وأنه تمتع بأوصاف النبوغ والعبقرية والحافظة والذكاء الوقّاد"، وأنه كان يتمتع "بسعة علم ومقدرة فذة في معرفة التراث الديني واللغات العبرية والسريانية واليونانية"(٤) وأن وصف الأمية جاء متأخرًا من أجل دعم إلهية القرآن الكريم(٥). وأن الوحي مجرد إلهام داخلي (رسالة داخل النفس، أو أمر بدون وعي من المتلقي)(٦). وينتهي جعيط في كتابه عن الوحي إلى أن الوحي من صنع النبيﷺ .

وهي حالة من تعمد الكذب، أو من القصور الشديد في المعرفة، وذلك أن قصة بدء الوحي في غار حراء بتفاصيلها كاملة في صدر الأحاديث الواردة في الصحيح(٧)، وذكر ابن إسحاق، في ذات السياق، أن الرسولﷺ رأى جبريل في غار حراء رأي العين ولمدة طويلة من الزمن "حتى كاد النهار أن يتحول" بمعنى

(١) قلتُ: عبارته مترددة، فقد أثبت أن الرؤية حقيقية في ص٥٣، و ٥٤.

(٢) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، مرجع سابق، ص٤٣.

(٣) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، مرجع سابق، ص٤٥.

(٤) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، مرجع سابق، ص٤٦.

(٥) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، مرجع سابق، ص٤٥.

(٦) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، مرجع سابق، ص٥٢.

(٧) ينظر: " **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ" للإمام مسلم بن الحجاج القشيري**، مرجع سابق، ج١، ص١٣٩، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله، ﷺ.

أنها لم تكن رؤية منامية كلها عند ابن إسحاق كما يزعم جعيط[١]، وفي القرآن الكريم أن النبيﷺ لم يكن يقرأ أو يكتب، ولم يكن له علم بحال السابقين أو المعاصرين له يقول الله تعالى: ،:﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾[٢]، ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ [٣].

(١) ينظر: "**سيرة ابن إسحاق[كتاب السير والمغازي]**"، لمحمد بن إسحاق،( بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١٢١.

(٢) سورة يونس: آية

(٣) سورة العنكبوت: آية٤٨.

## المبحث الثاني:

## التفسير من خلال العبقرية وحسن التدبير.

من المحاور الرئيسية التي فسر بها المستشرقون و"المبشرون" الوحي محور التفوق في القدرات الذاتية، والتي تظهر في هيئة رغبة جامحة في الإصلاح وقدرة هائلة على تدبير الأمور بشكلٍ جيد، ومن أوضح الأمثلة على هذا الطرح ما قدمه المؤرخ الأمريكي المشهور "وول ديورانت[١]" في كتابه "قصة الحضارة"[٢]؛ وكذلك القس الماروني "جوزيف قَزّي"، والذي قدّم سلسلة طويلة من الكتب (٢٢ كتابًا) يبحث فيها، عن إجابة لهذا السؤال: "هل كان محمد نبيًا مرسلًا من لدن الله ليؤسس دينًا؟ أم أنه جاء ليصلح مجتمعًا فاسدًا، فنجح، وأكسبه نجاحه نبوة؟!!"[٣]، وبعد سلسلة من الكتب ادعى فيها الموضوعية العلمية أجاب بعبارات شديدة الوضوح عن سؤاله هذا بقوله: "وموقف المسيحيين أخيرًا من محمد موقفان: موقف فيه محمد رجل إصلاح عظيم لمجتمع تجاري فاسد؛ وموقف فيه محمد رجل عادي حاول أصحابه، لكي تستمر تعاليمه، أن يدرجوه بين النبيين. والإدراج هذا لم يزده مجدًا، بمقدار ما زاد التاريخ تأزمًا"[٤] !!

انتقلت هذه النظرة للنبي ﷺ إلى عددٍ من السماعين للكافرين.. المتأثرين بخطابهم، ففي العقود الأخيرة "لم يستطع المتحدثون من خارج المؤسسة الدينية

---

(١) ويليام جيمس ديورانت (١٨٨٥م-١٩٨١م)، فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته اليهودية أرئيل ديورانت (١٨٩٨م-١٩٨١م) في تأليفه، تخرج من كلية القديس بطرس (مدينة جيرسي سيتي / ولاية نيو جيرسي الأمريكية)١٩٠٧م، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة١٩١٧م من جامعة كولمبيا، ودرس فيها الفلسفة، ومن خلال محاضراته كتب عددًا من الكتب، من أهمها "قصة الفلسفة"، و"قصة الحضارة" ينظر: "من هو وول ديورانت" موقع أراجيك، أخذ من الرابط: https://www.arageek.com/bio/will-durant

(٢) ينظر: "**قصة الحضارة**"، لـ وِل وَايريْل ديورانت، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٦- ص٤١.

(٣) ينظر: "نبي الرحمة: بحث في مجتمع مكة" لجوزيف قزّي (أبو موسى الحريري)، (لبنان، دار من أجل المعرفة، ١٩٩٠م)، ص٧.

(٤) ينظر: "**نظرة مسيحية في الإسلام**" **لجوزيف قزّي**، (بيروت، نَسْبِيه، ٢٠٠٤م)، ص٥٠.

الرسمية (ما يسمى بالصحوة الإسلامية) تقديم نموذجهم النقي للمجتمع، بل تصاعدت معدلات العلمنة بداخلهم هم، وتقبَّلوا قيم السوق، وأصيبوا بحالة من السيولة في المفاهيم الحاكمة (الجهاد والحجاب كأمثلة)، وفي النهاية تبنوا رؤية التنمية البشرية الأمريكية المتمركزة حول القيم البروتستانتية من تركيز على النجاح الفردي والسعي للثروة والنجاح الدنيوي"[١] ، وفي سياق انتشار ثقافة "التنمية البشرية"، ظهرت بعض الأطروحات التي حاولت تفسير البعثة المحمدية (الوحي كتابًا وسنة) من خلال مفاهيم "التنمية البشرية" وما يتفرع عنها من حديث حول "الإمكانات الذاتية" وحسن التدبير – أو ما يسمى بـ"التخطيط الاستراتيجي"– تأثرًا بالثقافة الاستشراقية والتبشيرية؛ وفي هذا المبحث، أقدم ثلاثة أمثلة، لبيان تأثر بعض المنتسبين للدعوة بأطروحات الكافرين في تفسيرهم للوحي. يشكل المثال الأول نموذجًا للأطروحات التي ترتدي ثوب الطرح الفكري الفلسفي الذي يوصف بالعمق والجدية، وهي أطروحة عباس العقاد[٢] في إسلامياته[٣]. ويشكل المثال الثاني نموذجًا للأطروحات الإعلامية ذات البعد الإداري [تدبير الأمور]، والتي يمثلها الأستاذ "وضاح خنفر"[٤] ، ويشكل المثال الثالث نموذجًا للدعاة الجدد،

(١) ينظر: "**إسلام السوق**" لباتريك هايني، ترجمة عومرية سلطاني، ( القاهرة، مدارات للنشر، ٢٠٠٥)، ص١١، ١٢. بتصرف يسير. ولبيان مدى ارتباط كثير ممن ظهرت في أطروحاتهم مفاهيم غير المسلمين، خاصةً أولئك الذين عنوا بالحديث عن التخطيط والتنمية البشرية، بالسوق (المال، والشهرة، ونحو ذلك) ينظر: "**الدعاة الجدد: الدعوة.. الثروة.. الشهرة**" لوائل لطفي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٥).

(٢) عبَّاس محمود العقَّاد (١٨٨٩م – ١٩٦٤م)، ولد في مدينة أسوان بأقصى جنوب مصر، حيث كان يعمل والده٢)، ورحل العقَّاد إلى القاهرة وعددٍ من مدنِ شمالِ مصر. اشتغل بالسياسة والأدب إلى أن تجاوز الخمسين فاتجه للكتابة في الإسلاميات، ومن خلال مقولة "العبقرية" قدم قراءة للسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وعددٍ من المعاصرين له، من الساسة كغاندي وبنيامين فرانكلين، والأدباء كالشاعر الألماني "يوهان جوته"؛ ينظر: "أنا" لعباس محمود العقاد، (القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٥).

(٣) ظهر وصف "إسلاميات عباس العقاد" من ناشر كتبه (دار الكتاب بدولة لبنان) حيث جمعوا ما كتب في السياسة والأدب والفن والدين في عدد من المجلدات وجعلوا ما كتب في الدين تحت مسمى إسلاميات العقاد.

(٤) معاصر، فلسطيني الأصل، من مواليد ١٩٦٨م، حاصل على بكالوريوس العلوم في الهندسة من الجامعة الأردنية، وشغل منصب مدير عام قناة الجزيرة ٢٠٠٣م–٢٠١١م، ويشغل الآن رئيس منتدى الشرق الأوسط، ينظر، موقع منتدى الشرق الأوسط، قسم فريق العمل، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥: https://www.sharqforum.org/ar/#team

وهي أطروحة "عمرو خالد" التي قدّم السيرة النبوية من خلالها في شهر رمضان ١٤٢٥هـ [٢٠٠٥م]. والهدف من استحضار هذا التنوع في الأمثلة هو بيان أننا أمام سياق ممتد من التأثر بالآخر. هذا السياق المتصل له دلالة رئيسية، هي: أن الفكرة لم تندثر بل تجد من يحاول تجديدها من حينٍ لحين. فقد نشر عباس العقاد عبقرية محمد في عام ١٩٤٢م، وجاء عمرو خالد في ٢٠٠٥م، ثم جاء وضاح خنفر في ٢٠٢١م. والهدف من هذا التنوع، أيضًا، هو بيان مدى تغلغل أفكار غير المسلمين وانتشارها على ألسنة المنتسبين للإسلام، بل الداعين له.

**المثال الأول: أطروحة عباس العقاد عن النبوة والأنبياء.**

ظهرت، بوضوح، أفكار غير المسلمين في أطروحات عباس العقاد، وخاصة الانطلاق من البيئة والعوامل الشخصية كمؤثر في صياغة الشخصية. فمن خلال ادعاء حتمية تأثير البيئة والعوامل الوراثية قدّم عباس العقاد تفسيرًا للوحي، يتوافق إلى حد كبير مع أطروحات غير المسلمين، أو لا يتوافق إلى حدٍ كبير مع ما نعرفه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وحتى تعلم أن أفكار غير المسلمين تمكنت من عباس العقاد دعني أعرض، سريعًا، حديثه عن الأنبياء، ثم أبين ما قدّمه من تفسيرٍ للبعثة المحمدية.

عُني عباس العقاد بالحديث عن النبوة والأنبياء في عددٍ من كتبه[١]، وعند عبّاس العقّاد أن النبوة بدأت بإبراهيم، عليه السلام، وأن الأنبياء عددٌ قليلٌ من ذرية إبراهيم[٢]. ونشطوا في "مدن القوافل" الخاصة بالسلالة العربية؛ وعنده أن صلاح الناس بالأنبياء وبالكهان؛ ويقارن بين النبي والكاهن فيذكر أن الكاهن يعين والنبي لا يعين، ويذكر أن الكاهن وجهته نظام المجتمع وتقاليد الدولة وما إليها من الظواهر الاجتماعية أو الواجبات العامة، والنبي وجهته سريرة الإنسان[٣]!!

(١) من ذلك كتابه "الله"، جل جلال ربنا وتقدس؛ وكتاب "عبقرية محمد"؛ وكتاب "أبو الأنبياء"؛ وكتاب "عبقرية المسيح"؛ وكتاب "إبليس".

(٢) ولذا سمى كتابه عن الخليل إبراهيم– عليه السلام، بـ "إبراهيم أبو الأنبياء".

(٣) ينظر: "**إبراهيم أبو الأنبياء**" لعباس محمود العقاد، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م)، ص١٣١-١٤٣.

يقول: "أما ديانات الأنبياء فلا وجود لها في غير السلالة العربية"[١]، ويقول: (فليست دعوى النبوة بالدعوة التي تشيع وتجتذب إليها الأسماع في مواطن الحضارة القديمة بعد استقرار العمران فيها بعاداته وآفاته مئات السنين أو ألوف السنين... وإذا شاع الفساد في مواطن الحضارة فالمسألة في هذه الحالة مسألة تشريع وقانون أو مسألة تنظيم وتدبير.. فليست بلاد العمران المتصل مهدًا صالحًا للرسالة والنبوة)[٢]!!

والله يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[٣] ، والله يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾[٤] ، والله يقول: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾[٥] .

وفي القرآن الكريم أن الكاهن رسول الشيطان، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾[٦]، وذكر الطبري، وغيره، أن المقصود بالآية هنا هم الكهان[٧].

ومن يقرأ في كتاب الله يعلم أن كان قبل إبراهيم- عليه السلام- أنبياء كثر، منهم نوح (لَقَد أَرْسَلنَا نُوحًا إِلَىٰ قَومِهِ )[٨]، وإدريس ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾[٩] . وكأن العقاد لم يقرأ القرآن!!

ويعنينا هنا حديث العقّاد عن شخص رسول الله ﷺ حيث أفرد له كتابًا خاصًا (عبقرية محمد)، وتحت عنوان "محمد السيد" يذكر أن دافع ما كتبه تحت

(١) ينظر: "**إبراهيم أبو الأنبياء**" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص١٤٩.
(٢) ينظر: "**أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام**" عباس العقاد، مرجع سابق، ص ١٤١، ١٤٢.
(٣) سورة يونس: آية ٤٧.
(٤) سورة النحل: آية ٣٦.
(٥) سورة الملك: آية ٨ – ٩.
(٦) الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٢.
(٧) ينظر: "**جامع البيان في تأويل القرآن**"، للإمام محمد بن جرير الطبري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج١٩، ص٤١٤؛ وينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١٣، ص١٤٥.
(٨) سورة الأعراف: من الآية٥٩.
(٩) سورة مريم: آية٥٦.

مسمى "عبقرية محمد" ﷺ هو بيان البواعث النفسية التي توحي إلى النبي ﷺ أعمالَه ومعاملاته!!"[١]. وذكر أن هذه البواعث لم تكن الوحي الذي أنزله الله على رسوله ﷺ بعد بلوغ الأربعين من عمره، وإنما ما جبل عليه من صفات شخصية ورثها عن آبائه وأجداده.

ويظهر هذا المدخل في تفسير البعثة المحمدية من خلال مفهومين رئيسيين عند العقّاد، وهما مفهوم "العبقرية"[٢] ومفهوم "الوعي الكوني"[٣]. وهما مفهومان مترابطان، إذ أن الوعي الكوني مظهر متطور من مظاهر "العبقرية". وتنطوي "العبقرية" على فكرة رئيسية هي أن السيرة، أو التاريخ عمومًا، من صنع أفراد معدودين "العباقرة". وهؤلاء "العباقرة" صنيعة العوامل الوراثية والبيئية التي نشؤا فيها، فكل منهم ورث أباه وتأثر ببيئته!!

فيدعي عباس العقاد أن عبادة النبي ﷺ، جاءته بما ورثه من آبائه وبيئته؛ يقول تحت عنوان "العابد": "تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه؛ فولد في بيت السدانة والتقوى، وتقدمه آباءٌ يؤمنون ويوفون بإيمانهم، ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه..."[٤]. وهذا جهل بما اشتهر، فَسَدَانَةُ البيت لم تكن في بني عبد المطلب، ولا في بني عبد مناف وإنما كانت في بني عبد الدار، وخبر رد مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة العبدري معروف مشهور[٥]. والحقيقة أن النبي ﷺ لم يكن يشبه

(١) ينظر: "**عبقرية محمد**" لعباس العقاد، (القاهرة، مؤسسة هنداوي،٢٠١٢)، ص١٢٠.

(٢) عرف العبقرية بأنها "وصف للنفاسة بغير نظير". ينظر: "**إبليس**" لعباس العقاد، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع ٢٠١٣)، ص ١١٩-١٢٠.

(٣) بعد أن استعرض أقوال الفلاسفة في نشأة العقيدة عقد فصلاً أسماه (الوعي الكوني)، وعاد ثانية للحديث عنه في نهاية كتابه، تحديدًا في فصل (وجود الله). والوعي الكوني- حسب العقاد- حالة متطورة من العبقرية يدرك فيها الفرد عن الله بدون واسطة. ينظر: "**الله**"، لعباس محمود العقاد، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ص١٥-٥٦، وص١٩١-٢٠٨.

(٤) ينظر: "**عبقرية محمد**" لعباس العقاد، مرجع سابق، ص١٢٧. وينظر: "السيرة النبوية لابن هشام"، لعبد الملك بن هشام، (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج٢، ص٤١٢.

(٥) ينظر: "**السيرة النبوية: من البداية والنهاية**" لإسماعيل بن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٥٧٠.

أحدًا من آبائه في عبادته. فلم يصلوا كما كان يصلي، ولا صاموا كما كان يصوم، ولا حجوا كما حج ﷺ، ومخالفته لهم، ولغيرهم، في الصلاة معلومة؛ ومخالفته لهم في الحج معلومة أيضًا، ويتضح ذلك من أمورٍ كثيرة أهمها: التلبية: فقد لغى تلبية الشرك وأقام تلبية التوحيد (لبيك لا شريك لك)، ومنع غير المسلمين من الحج، ومنع طواف العراة، وأبطل الاقتران (أن يربط رجل رجلًا آخر بحبل أو نحوه حال الطواف)، وأباح العمرة في ذي الحجة وأشهر الحج عمومًا، وفرض على الجميع الوقوف بعرفة وكانت قريش تخالف العرب وتقف بالمزدلفة، ونفر من عرفة بعد الغروب وكانوا ينفرون قبل الغروب، ونفر من المزدلفة بعد الفجر وقبل الشروق وكانوا ينفرون بعد الشروق، بمعنى أزال التحريف الذي أقامته قريش ومن سادوا في مكة من المشركين كعمرو بن لحي الخزاعي(١). فالدين كله من الله والأنبياء يصححون للناس ما ابتدعوه في الدين.

ومن أقواله عن الأنبياء، والتي تبين ظنه بأن الأنبياء إنما تحركوا من عند أنفسهم لا بوحي أنزله الله عليهم عن طريق ملك الوحي جبريل– عليه السلام–، قوله: "هنا موقف من المواقف التي نسميها موقف استلهام الغيب واستخارة الحوادث"(٢). وقوله: "ولم تكن النبوءة بإذن من ذوي السلطان أمراءً كانوا أم كهانًا أم شيوخًا مطاعين في القبيلة، بل يمتلئ يقين الإنسان بالإيحاء إليه، فيمضي في تبليغ وحيه ولا يقوى أحيانًا على كف لسانه"(٣).وقوله: "وإن الإنسان المتهيئ للنبوءة كان يخشى

(١) ينظر: " المسائل التي خالف فيها صلى الله عليه وسلم أمر الجاهلية في الحج" لعمار مُثلا، موقع رابطة العلماء السوريين، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٢/١ من الرابط: https://islamsyria.com/site/show_articles/12856

(٢) ينظر: "**حياة المسيح: في التاريخ وكشوف العصر الحديث**" لعباس العقاد، (القاهرة، دار نهضة مصر،٢٠٠٥ )، ص١٥٥.

(٣) ينظر: "**موسوعة عبَّاس العقَّاد الإسلامية المجلد الأول: توحيد وأنبياء**" لعباس محمود العقاد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م)،٥٧١م.

أن يسكت عن الدعوة متى جاشت ضمائره بحوافزها وألحت عليه أيامًا بعد أيام"[١].
ومثل: "أما ديانات الأنبياء فلا وجود لها في غير السلالة العربية، والاختلاف بينها وبين الديانات الأخرى أن النبي لا يعينه أحد ولا ينبعث بأمر أحد، ولكنه ينبعث بباعث واحد من وحي ضميره ووحي خالقه"[٢].

وتحدث عن إعداد بيئي (زماني ومكاني) وإعداد فطري ورثه النبي ﷺ من آبائه وأجداده، يقول: "فالذي أعده له زمانه، وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية دون سواها"[٣]، وهذه المقولة مضطردة عنده في تفسير كل بعثه، سواءً بعثة النبي، محمدﷺ أم غيره من الأنبياء كموسى وعيسى، عليهما الصلاة والسلام، فعند العقّاد أن موسى، عليه السلام، علّمه بشر، يقول: "موسى الكليم الذي تتلمذ على حمية نبي مدين قبل جهره بدعوته"(٤)، وذكر أن موسى، عليه السلام، كان يرجع لنبي مدين (شعيب) من وقت لآخر حال معالجته لفرعون وبني إسرائيل بعد ذلك[٥]، وقد رجح ابن كثير في تفسيره أنه ليس بنبي الله شعيب، عليه السلام[٦].

(١) ينظر: "**موسوعة عبَّاس العقَّاد الإسلامية المجلد الأول: توحيد وأنبياء**" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص٥٧٣.

(٢) "**إبراهيم أبو الأنبياء**" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص١٥٧، وأكد ذات المعنى في ص١٧٩.

(٣) ينظر: "**مطلع النور**" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص١٢-١٣.

(٤) ينظر: "**حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**" ص٨٣.

(٥) ينظر: "**مطلع النور**" **لعباس محمود العقاد**، مرجع سابق، ص٨١.

(٦) ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**"، لإسماعيل بن عمر بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٦، ٢٢٩.

**المثال الثاني: أطروحة "على خطى الحبيب" لعمرو خالد.**

قدّم "عمرو خالد" تفسيرًا للبعثة المحمدية، يقول هو عنه: هذا التحليل غير موجود بالكتب[١]. والمحور الرئيسي الذي سار عليه في عرضه للسيرة النبوية أنها تجربة بشرية قامت على التخطيط والثقافة العامة للنبيﷺ، وأن دور الوحي كان محدودًا، وجزم أكثر من مرة بأن الوحي لم يتدخل في الأحداث، وأن هذا الدين انتصر بتخطيط النبيﷺ، ومن ذلك ادعائه أن النبيﷺ سافر لليمن ثلاث مرات، وللشام عدة مرات؛ يقول: "ذهب للشام لمعرفة الروم (القوة العظمى) كيف تدير الأرض؟، وذهب لليمن ليعرف كيف تدير الفرس(القوة العظمى) الناس "[٢]؛ ولم أجد في كتب السيرة أن النبيﷺ سافر لليمن مطلقًا ولا أنه خرج من مكة إلا للتجارة لا للتعلم، وإنما ظن عمرو أن هذا التغيير الكبير الذي أحدثه الوحي لابد أن يكون قد سبق بتعليم أرضي فادعى أن النبيﷺ إنما تعلم من الفرس والروم، وهي أقوال من لا يؤمنون بما أنزل الله على رسوله ﷺ وجدت طريقها لبعض المسلمين في حال غفلة!

وحال حديثه عن الهجرة للحبشة – يذكر أن النبيﷺ كان قد درس الجغرافيا والتاريخ جيداً، ولذا كان يجيد التخطيط، ولذا استطاع أن يحدد المكان الذي يهاجر إليه أصحابه حين تعرضوا للإيذاء في مكة !!. ويتحدث عن نزول سورة مريم قبل الهجرة للحبشة، يقول ثقافة للمهاجرين للحبشة، ثم يعلق قائلاً "عظيم يا رسول الله في كل شيء"[٣]، وكأن رسول الله ﷺ هو الذي أنزل السورة.!!

(١) عرض عمرو خالد في الحلقة ٢٥ من سلسلة "على خطى الحبيب"، عدداً من تساؤلات المشاهدين، وكان من بينها المصادر التي يتحدث منها وذكر بعض المصادر ثم قال أن التحليل الذي أقدمه غير موجود بالكتب. ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ٢٥ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/7SQR5

(٢) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ٤ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/mlEOw

(٣) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ١٠ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/QpZlJ

ويعلق على معرفة النبي ﷺ لنبي الله «يونس» – عليه السلام– حين تحدث مع عدَّاس غلام عتبة بن ربيعة وهو عائد من الطائف، بأنه ﷺ «كان دارس تاريخ وجغرافيا»[١]!!

ويعلق على معرفة الرسول ﷺ بأن «يثرب» من موالي يهود فيقول: « عارف كل حاجة، بيقرأ أخبار ويعرف إيه اللي بيحصل»[٢]!!

وحاله عرضه للغزوات، ومعرفة النبيﷺ بخبر العدو، أكد مراراً على أن النبيﷺ كان له شبكة مخابرات منتشرة في الجزيرة العربية، يعرف بها كل شيء[٣]. وحين جاء على عودة غطفان بعد خروجها لنصرة اليهود في خيبر، أسند ذلك «لشبكة المخابرات الإسلامية»، بل حين جاء على ذكر سرية خالد بن الوليد لأكيدر دومة الجندل، وقول النبي ﷺ له: « تجده يصيد البقر فتأخذه»[٤] يقول: « موضوع الصيد معلومات عند النبي ﷺ عن هذا الرجل.. معلومات مخابرات. !». ولا أدري أي مخابرات هذه التي تعرف ما في الغيب.. التي تعرف أن ليلة وصول خالد بن الوليد للحصن سيأتي البقر الشارد على غير العادة ويحك قرنه في سور الحصن، وينزل له أكيدر ويترك زوجته رغم تحذيرها له؟!

بقي عمرو خالدٍ طوال عرضه للسيرة النبوية مصرًا على أن "السيرة النبوية تجربة بشرية طبيعية وليست تجربة مثالية: أناس خططوا ونجحوا" [٥] !!ظل هذا المعنى موجودًا طوال عرضه للسيرة النبوية.. ظل يؤكد على أن النبيﷺ نجح بالتخطيط وبدون وحي[٦].

(١) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ١٢ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/MVRXZ

(٢) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ١٥ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/jpt4p

(٣) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ٢١ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/DnolE

(٤) ينظر: "**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**" للقاضي عياض، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). وذكرها القاضي عياض تحت في فصلٍ بعنوان "ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون".

(٥) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ١٦ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/aPeP5

(٦) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة٢٣، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/RQ7X4

وفي سياق تقليله من أثر الوحي المنزل من عند الله في شخص الرسولﷺ حاول عمرو خالد أن يسند معرفة النبيﷺ للغيب إلى شخصه هو صلى الله عليه وسلم، ة فمثلاً حين أتى على قول النبي ﷺ لعمير بن الحمام يوم بدر وهو يأكل تمرات "أنت من أهل الجنة"، يقول عمرو خالد معلقًا بصيغة التشكيك: هل وحي قال له؟! أم نظر في عينه فرأى مَرْجَلَةً ؟؟[١]

وحال حديثه عن صلح الحديبية[٢] يروي ما حدث بين النبيﷺ وعلي ابن أبي طالب حال كتابة الصلح مع مشركي قريش، يقول: (قال النبي ﷺ امحها يا علي فقد تأتي يوم تكون فيه في هذا الموقف وأنت مضطهد)، ثم يقول بصيغة التشكيك: هذا وحي؟ أم رؤية النبي ﷺ التي ترى عليًّاً ثابتاً على الحق ؟« ثم يجيب نفسه قائلاً: «مش عارف».!!

وفي ذات الحلقة يقول الله وجه النبي ﷺ لصلح الحديبية بدون وحي، بإشارة فقط، واتجه للمشاهدين يخاطبهم قائلاً « وأنتم أيضا سترسل لكم إشارات كثيرة، حتى لا يقول أحد بعد ذلك أنه لابد من وحي للتغير»!

ويأتي على ذكر امتناع ناقة النبي ﷺ من دخول مكة يوم الحديبية ويحرص على نفي الوحي فيقول «عدم دخول الناقة إشارة وليست وحي. إشارة لأنك لو دخلت سيحدث صدام فلا تدخل نحن لا نريد الصدام وإنما السلام»[٣]، وهو كلام لا تفهم منه سوى أنه يريد نفي الوحي أو حصره في أضيق الحدود، وإعطاء تفسير مادي للبعثة، ومما يذكر هنا أن عباس العقاد تعرض لحادث الناقة حال دخول النبي ﷺ المدينة فنسب الفعل للناقة، يقول: " بركت حيث طاب لها أن تبرك، وفصلت فيما لو فصل فيه إنسان كبير أو صغير لما مضى فصله بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها، ولو أمنت في تلك الساعة على دخل وسوء

(١) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ١٨ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/6jxv9

(٢) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ٢٢ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/WPihD

(٣) ينظر،"**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ٢٣ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/RQ7X4 دقيقة ٣٣.

طوية"[١] مع أن النبي ﷺ قال "خلوا سبيلها فإنها مأمورة"[٢]. ولكنها حالة من الإصرار على تقليل أثر الوحي في البعثة المحمدية، وتفسير الوحي من خلال رؤية مادية.

ويأتي "عمرو خالد" على سبب الهزيمة يوم أحد فيذكر أن السبب هو «عدم الأخذ بأسباب النجاح»[٣]!!، وكأنها كلها تخطيط والكرام قد أهملوا. وفي السيرة النبوية أن سبب هزيمة غزوة أحد هو عصيان الرماة لأمر النبي ﷺ فالطاعة سبب النصر، والمعصية سبب الهزيمة؛ وهو صريح القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤] ، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٥].

ويأتي على ذكر نزول الملائكة في يوم بدر، ويحاول أن ينفي أي أثرٍ للملائكة، فيدعي أن «الملائكة نزلت في الآخر وكان دورها التثبيت فقط»[٦] ! والله يقول: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾، والله يقول: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[٧]

ولست هنا في إطار مناقشة عمرو خالد، وإنما في إطار بيان كيف تغلغلت الرؤية المادية في فهم الوحي للمنتسبين للدعوة الإسلامية .

---

(١) ينظر، "**عبقرية محمد**"، لعباس العقاد، مصدر سابق، ص٦٢.

(٢) ينظر: "**السيرة النبوية**" لابن كثير، مصدر سابق، ج ٢، ص٢٧١.

(٣) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ٢٠ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/PG9XB

(٤) سورة آل عمران: آية١٦٥.

(٥) سورة آل عمران: آية١٥٥.

(٦) ينظر، "**على خطى الحبيب**" لعمرو خالد، الحلقة ١٨ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/6jxv9

(٧) سورة آل عمران: ١٢٥.

**المثال الثالث: أطروحة الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية.**

حاول وضّاح خنفر وضع السيرة النبوية في قالب "تخطيط استراتيجي" من شخص الرسول ﷺ. كأن بعثة النبيﷺكانت تخطيطًا من شخصه الكريمﷺ وليست وحيًا من الله؛ ولذا نجده يبدأ كتابه في السيرة النبوية (الربيع الأول) بعرض ما سمّاه "معالم الاستراتيجية التي اتبعها النبيﷺ في تمكينه للدين"(١)، وأنقل نصًا متصلًا يعرض فيها البعثة المحمدية كاملةً، يقول، وهو يعدد مبادئ الاستراتيجية النبوية: " المبدأ الخامس أن استراتيجيته عليه الصلاة والسلام كانت تقوم على المبادرة والإقدام دون التقوقع في المربع الذي يحدده خصومه. كان يفاجئ الجميع ويخطو الخطوة التالية، فتربك خطوتُه المشهد وتضع أعداءه في حالة رد فعل، وأمثلة ذلك كثيرة؛ فلما تيقن النبيﷺ أن الملأ من سادة قريش قد جمدوا واستكبروا وانحازوا نهائيًا نحو تكذيب الدعوة، عندها بدأ يفكر خارج المربع القرشي، فاتجه نظره صوب المدينة الثانية الأبرز في الحجاز بعد مكة، فكانت زيارته للطائف استكشافًا لآفاق جديدة وعندما انغلق مسار التفاوض مع زعماء ثقيف، لم يتراجع ولم ينهزم، بل استعاد المبادرة بدخولٍ عزيزٍ إلى مكة تحت جوار المطعم بن عدي ليستأنف البحث عن حلفاء جدد، فيتواصل مع زعماء القبائل في الحج وصولًا إلى العقبة الأولى ثم الثانية.

وما أن يحط رحله في المدينة حتى يبادر إلى رص الصف الإسلامي من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ثم الصف المدني من خلال الصحيفة. وما إن استقر به المقام في عاصمته الجديدة حتى بادر إلى اعتراض قوافل قريش مثيرًا الفزع في نفوس المشركين من انهيار طرق التجارة التي تربطهم بالعالم. وعندما احتاج الأمر لتنقية الجبهة المدنية، لم يتردد في المبادرة بإجلاء بني

(١) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، ص٢٢-٢٩.

النضير وبني قينقاع. وعندما أصيب جيشه بانتكاسة في معركة أحد، بادر إلى الخروج في إثر المشركين قبل أن يتوقف نزف جروحه، وعندما أرادت قريش استئصال المسلمين في الخندق وحشدت أكبر جيش في ذلك الزمان فاجأها بالخندق فأربك خطط المشركين العسكرية. أما قبائل البادية من الاعراب فقد أربكها بغارات مفاجئة، ولم يترك مجالًا لها كي تبادره بهجوم"(١).

وفي القرآن الكريم تصريح بأن النبيﷺ ما كان يفعل شيئًا من تلقاء نفسه، بل كان يتبع ما يوحى إليه، مثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ (٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾(٤)، وهذا شأن النبيﷺ في أمره كله، يقول الله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾(٥). وفي السنة النبوية مثل ذلك، وتدبر قول الرسولﷺ لأبي بكر يوم الهجرة: "إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة"(٦).

(١) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، ص-٢٥-٢٦.

(٢) سورة الأنعام: من الآية٥٠.

(٣) سورة الأعراف: آية ٢٠٣

(٤) سورة الأحقاف: آية٩.

(٥) سورة النجم: آية ٤.

(٦) ينظر: "**السيرة النبوية**" لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٣.

## المبحث الثالث:

## التفسير السياسي والاقتصادي للوحي.

من أهم المداخل التي انطلقت من البيئة كمؤثر رئيسي المدخل السياسي، وفيه تتبع القائلون به الحالة السياسية لقريش والعرب، وكيف أنها تطورت من قبائل شتى إلى دولة كبرى (دولة الإسلام)، والمدخل الاقتصادي وفيه تتبع القائلون به تطور بيئة قريش في المجال التجاري من الفقر الشديد إلى الإيلاف والنشاط التجاري وحاولوا الربط بين النشاط السياسي والاقتصادي وظهور البعثة المحمدية (الوحي كتابًا وسنة)، على النحو التالي:

### أولًا: التفسير السياسي:

ظهرت في أطروحات السماعين للكافرين تفسيرات للبعثة المحمدية بدوافع سياسية، وأهم هذه التفسيرات هو ادعاء أن جهد النبيﷺ لم يكن إلا محاولة لإنشاء دولة قرشية، أو هاشمية. وهذا الادعاء وُجد بنصه في عددٍ من الكتابات لأكثر من كاتب، مثل: سيد القمني[١] في كتاب "الحزب الهاشمي"، وخليل عبد الكريم في كتاب "قريش من القبيلة إلى الدولة" وهؤلاء كتبوا في توقيت واحد نفس الفكرة بذات التفاصيل تقريبًا مما يشي بأنها ليست من أفكارهم وإنما نقلت عن غيرهما من "المستشرقين"، و"المنصرين"، وخاصة أنها وجدت في كتابات القس النصراني اللبناني "جوزيف قَزِّي"[٢] . وفي التفاصيل يدعي "السمّاعون" أن الرسالة المحمدية (الوحي) كانت نشاطًا سياسيًا واجتماعيًا لقبيلة قريش، ويخصص سيد

(١) سيد محمود القمني (١٩٤٧م–٢٠٠٢م)، حاصل على ليسانس آداب قسم فلسفة من جامعة عين شمس بالقاهرة، واشتغل بتدريس الفلسفة لطلبة الثانوي في مصر ودولة الكويت، ثم تفرغ للكتابة، وبدأ،– حسب ما يذكر في بعض حوارته– قاصًا، ثم اتجه للكتابة في الإسلاميات. حصل على جائزة الدولة المصرية التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام٢٠٠٩، وبعدها ثارت شكوك حول ادعائه الحصول على درجة الدكتوراة لم يستطع أن ينفيها، وطبعت كتبه مؤخرًا دون أن يرفق اسمه بلقب "دكتور". ينظر: "**أفكار مارقة**"، إبراهيم عوض، (القاهرة، مكتبة جزيرة الورد،٢٠١١).

(٢) جوزيف قَزِّي (١٩٣٧م–٢٠٢٢م)، قس لبناني ماروني معاصر، قدّم رؤية خاصة عن الإسلام في عديد من الكتب باسمين مستعارين اشتهر بهما، وهما "أبو موسى الحريري" و "أنور ياسين"، وغلب عليه الأسماء المستعارة لانتشار كتبه بهما. صدرت كتاباته في سلسلة من عشرين إصدارًا باسم "الحقيقة الصعبة". ويأتي في ثنايا هذا البحث مزيد من التفصيل عن كتاباته. ينظر: "الأب جوزيف قزي إذ رحل" لحسن منيمنة، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٩ من الرابط: https://2u.pw/xFHVy

القمني فيزعم أنها كانت نشاطًا خاصًا ببني هاشم أو بحزبٍ يتزعمه بني هاشم (هاشم فعبد المطلب ثم الحبيب صلى الله عليه وسلم) وأن الهجرة اتجهت للمدينة لوجود صلات قرابة لبني هاشم في المدينة، وأن الجزيرة العربية توحدت في تجمع قبلي تمهيدًا للسيطرة على الممالك التي حولهم؛ وخليل عبد الكريم يوسع الدائرة فيزعم أن البعثة كانت من أجل إنشاء دولة خاصة بقبيلة قريش وليس بني هاشم وحدهم.

وجاء عباس العقّاد لذات المفهوم (أن البعثة انتفاضة عربية من أجل إنشاء دولة عربية) من طريقٍ آخر، وهو ادعاء أن البعثة المحمدية جاءت في سياق وحدة قومية عربية، فحال حديثه عن "طلائع البعثة المحمدية" تحدث بإسهاب عن وحدة قومية عربية في اللغة والجنان والناحية العسكرية والسياسية مهدت للبعثة المحمدية[١]، ولذا حال حديثه عن الفتوحات الإسلامية يتوافق مع المستشرقين ويصفها بأنها كانت فتوحات عربية، يقول: "وانتصر العرب"، "جيش العرب"[٢]، "لكن حركة العرب حركة إنشاء ونماء"، ويقول: "وهناك حلقات من الحوادث تسوغ لنا أن نعتبر حرب فارس الثانية امتدادًا للواقعة الأولى بذي قار، أو استئنافًا لتلك الواقعة"[٣] فهي عنده عربية تكمل مسيرة العرب في الجاهلية!! و"جوزيف قزّي/ أبو موسى الحريري" يوسع الدائرة أكثر فيزعم، في خطاب تحريضي على العروبة والإسلام، أن البعثة كانت نشاطًا خاصًا بالعرب وأن الإسلام والعروبة لا ينفكان عن بعضهما، وينقل نصوصًا من السنة النبوية عن فضل العرب ونصرتهم للإسلام ونصوصًا أخرى لمعاصرين، من فئات ثقافية مختلفة وبينهم نصارى، عن

(١) ينظر: "**مطلع النور**" لعباس محمود العقاد، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢)، ص٦١.

(٢) ينظر: "**عبقرية خالد**"، لعباس محمود العقاد، (القاهرة، نهضة مصر،٢٠٠٥)، ص٣، ص١١٨ من عبقرية خالد، وما بعدها، تجده مصرًا على أنه جيش العرب.

(٣) ينظر: "**عبقرية خالد**"، لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص٢٣.

الارتباط الوثيق بين الإسلام والعربية[١]، ويذكر أن كل التجارب التي حاولت فك هذا الارتباط بين العربية والإسلام، كالفرس والترك (العثمانيين) فشلت، وأن الهدف من إقامة هذا الارتباط بين العربية والإسلام هو غزو العالم كله والسيطرة عليه وإخضاعه للعرب المسلمين[٢]!

بمعنى أننا أمام سياق من السمّاعين والكافرين يحاول تفسير البعثة المحمدية (الوحي) بأنها كانت حركة سياسية استهدفت إنشاء ملك سياسي خاص ببني هاشم أو بقريش أو بالعرب عمومًا، وأن الدين جاء كوسيلة للسيطرة[٣].

وإن أول ما نواجه به هؤلاء هو قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾[٤]، فهو قولهم هم. اخترعوه من عند أنفسهم[٥] .وهو قولهم بأفواههم بمعنى أنه خرج من الفم وليس من العقل ولا من القلب، فليس وراء هذا القول يقين قلبي أو عقلي. وأمارة ذلك في أنهم لا يعتمدون على المصادر الصحيحة التي رصدت

(١) ينظر: "**أعربي هو؟!: بحث في عروبة الإسلام**"، لأبي موسى الحريري [جوزيف قزّي]، (بيروت، دار لأجل المعرفة، ٢٠٠٧م)، ص٥-٢٦.

(٢) ينظر: "**أعربي هو؟!: بحث في عروبة الإسلام**"، لأبي موسى الحريري [جوزيف قزّي]، مرجع سابق، ص٣٧.

(٣) قلتُ: ربما كانت البداية من عند ابن خلدون، فهو أول من تحدث عن "ملك العرب" وأن العرب لا يقوم لهم ملك إلا بصبغة من دين، وفسر الفتوحات الإسلامية بالتوحش العربي، ويظهر ذلك من عنوان الفصل السابع والعشرين من مقدمته: " فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة" وفسر ذلك بأن الدين يغلب نزعة التوحش المتحكمة فيهم. والحقيقة أن العرب عرفوا الملك قبل الإسلام، في اليمن وعمان والبحرين والعراق والشام، ولم تكن البداوة إلا في قلب شبه الجزيرة العربية وكانوا (البدو) أقل عددًا قياسًا بمن سكنوا العراق والشام وساحل الخليج واليمن ومكة والمدينة وخيبر ونجران. ينظر: "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سابق، ج١، ص١٨٩.

(٤) سورة الأحزاب: من الآية٤.

(٥) ومعنى بأفواهكم "تأكيد لبطلان القول، أي أنه قول لا حقيقة له في الوجود، إنما هو قول لساني فقط"، ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج١٤، ص١٢٠.

البعثة المحمدية بأدق تفاصيلها، بما في ذلك ما يدور بينه وبين أهله. وإن هذا التفسير للوحي يواجه عددًا من المشاكل التي تذهب به، منها: أن النبي، ﷺ واجه رفضًا بل عداوة من بني هاشم، ومن قريش، ومن العرب، فأول من قام في وجه النبيﷺ هو أقرب الناس إليه.. عمه أبو لهب، من قومه، فبادره أبو لهب (عمه) بالرفض "تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1]، واشتهر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبيﷺ بشدة عدائه للنبي ﷺ وأصحابه[2]، وقريش كلها كذبت النبيﷺ وحاربته وأصحابَه حتى اضطرتهم للخروج مهاجرين تاركين أموالهم وديارهم ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3]، "فهؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها"[4] ثم تبعته بعد ذلك وقاتلته. والحروب التي بين الرسول ﷺ وقريش وغيرها من القبائل العربية من أشهر ما يروى في السيرة النبوية، فكل من تحدث عن السيرة تحدث عن غزوات الرسول ﷺ . وكذلك

(١) ينظر: "**أسباب النزول**" لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، (الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٤٦٩؛ وينظر: "**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم**"، للإمام مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب قول الله تعالى" وأنذر عشيرتك الأقربين"، ج١، ص١٩٣، حديث رقم (٣٥٥)؛ وينظر: "**الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام**" لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج٣، ص١٧٥.

(٢) من ذلك قوله: ألا أبلغ أبا سفيان عني، وينظر: "**سير أعلام النبلاء**" للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج١، ص٢٠٣.

(٣) سورة الحشر: آية٨.

(٤) ينظر: "**جامع البيان**" للإمام محمد بن جرير الطبري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٢٣، ص٢٨١.

حروب الردة من أشهر ما يروى في سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بمعنى أن عامة العرب حاربوا الدعوة ابتداءً ولم تكن حالة من التوافق كما يزعم هؤلاء. وهذا أمر بدهي فالرسالة، أي رسالة، تعني تغيير واقع الناس ولذا يعاديها الملأ ومن تبعهم من العوام، وكذا فعلت كل أمة مع رسولها، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ﴾[١]، والمعنى" سلكوا في تكذيب أنبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن أهلكه الله بالغرق والصيحة"[٢] ولذا ينكر سيد القمني ما حدث من اضطهاد من قريش للرسول ﷺ ويزعم أنه من "أكاذيب" رواة السيرة. وكلامه مضحك. ولا يصلح إلا للاستشهاد على جهله وشدة كذبه.

ولم يترك النبي ﷺ الحكم من بعده لأحد من بني هاشم، بل لم يوصِ به لأي أحد، ولم يدع الرسول ﷺ الناس إلى قومية عربية بل دعاهم إلى توحيد الله، يقول تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[٣]، ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾[٤] ، وكانت هذه رسالة الأمة، كما هي رسالة الأنبياء ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾[٥] .ويتضح المعنى العملي لهذه الآيات من فعل الصحابة، رضوان الله عليهم، ومن ذلك إجابتهم للأعاجم حين سألوهم

(١) سورة المؤمنون: من الآية٤٤.

(٢) ينظر: "**مفاتيح الغيب**" للإمام محمد بن عمر الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٢٣، ص٢٧٨.

(٣) سورة البينة: آية٥.

(٤) سورة آل عمران: آية ٦٤.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ١١٠.

عن الذي أخرجهم من جزيرة العرب بأنه الدعوة للإيمان بالله، (الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدًا، حتى نفضي إلى موعود الله.[١].

وتماشيًا مع منهجية البحث، وهو بيان أن المتحدثين بالشبهات في حالة تضارب وليسوا على قولٍ واحد، فإننا نجد أن هشام جعيط يذهب، بعد دراسة علمية جادة ومنهجية حسب وصفه[٢]، إلى رأي معاكس تمامًا، يقول: بأن الرسول ﷺ "لم يكن يصبو إلى السياسة والتسلط. وأن الوحي والقرآن والنبوة هي أصل كل شيء، وبقيت العمود الفقري للحضارة الإسلامية على طول الزمن التاريخي"[٣] . فبعضُهم يكذّب بعضهم.

**التفسير الاقتصادي للوحي:**

انطلاقًا من أن البيئة هي المؤثر الأكبر، وانطلاقًا من محاولة تفسير الوحي من خلال المذاهب العلمانية المعاصرة التي اعتنقها المتأثرون بغير المسلمين، ظهرت تفسيرات للوحي من خلال رؤية اقتصادية (تجارية)، فظهر من المتأثرين بغير المسلمين، وخاصة من أولئك الذين تأثروا بالأطروحات الاشتراكية، من تحدثوا عن "الإنتاج الإيلافي". يدّعون أن البعثة المحمدية ثمرة، أو نتاج، لما حدث من إيلاف بين قريش والقبائل العربية التي كانت تقيم على طرق التجارة إلى

(١) أورد الطبري في تاريخه خبر الرسل الذين أوفدهم سعد بن أبي وقاص إلى رستم، وهم ربعي بن عامر وحذيفة بن مِحْصِن والمغيرة بن شعبة، وكلهم أجمعوا على أن الذي أخرجهم هو الدعوة إلى عبادة الله، حتى تعجب رستم من توافق قولهم، ينظر: "**تاريخ الرسل والملوك**" للإمام محمد بن جرير الطبري، (بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ)، ج٣، ص٥٢٠-٥٢٤.

(٢) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، (بيروت، دار الطليعة،٢٠٠٠م)، ص٨، وص١١.

(٣) ينظر: "**في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة**"، لهشام جعيط، مرجع سابق، ص٩.

الشام وإلى اليمن[١]، فالإسلام، كما يدعي هؤلاء، ابن المرحلة الإيلافية، أو ابن الازدهار التجاري الذي حدث في مكة قبل البعثة مباشرة[٢].

وظهرت ذات الفكرة (حضور البعد الاقتصادي كأحد العوامل المؤثرة في ظهور، أو تمكن، الوحي) عند "وضّاح خنفر"، فحاول قراءة السياق الذي نشأت فيه البعثة المحمدية بأنه كان سياقًا تجاريًا خالصًا! وبدأ من بعيد، ليوهم القارئ بأنه سياق ممتد جاءت البعثة المحمدية (الوحي) أحد فقراته، فعنده أن المؤمنين في نجران (أصحاب الأخدود) تم القضاء عليهم بدوافع اقتصادية بحتة، والله يقول: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾[٣]، والمعنى (وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب، إلا من أجل أنهم آمنوا بالله)[٤]، فالذين استُهدفوا بالإبادة في نجران كانوا مؤمنين ونُكّل بهم لإيمانهم لا لتخليص التجارة من أيديهم كما يدَّعي وضّاح ومن ينقل عنهم[٥]!!

وعنده أن "حملة أبرهة العابرة للحجاز كان لها هدف رئيسي هو السيطرة على طرق القوافل التجارية من خلال إخضاع قبائل الحجاز لهيمنته"[٦]. ويذكر

---

(١) "ومعنى الإيلاف إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الربح ويحمل لهم متاعًا مع متاعه ويسوق إليهم إبلًا مع إبله ليكفيهم مئونة الأسفار ويكفي قريشًا مئونة الأعداء فكان ذلك صلاحًا للفريقين إذ كان المقيم رابحًا والمسافر محفوظًا" ينظر: "**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**"، لعبد الملك بن محمد الثعالبي، (القاهرة، دار المعارف،٢٠٠٩)، ص١١٦.

(٢) ينظر: "هل يخرج العرب من التاريخ" لموفق محادين، موقع "رصين" أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٥/٢٦ من الرابط: http://rasseen.com/art.php?id=1f34362bd6498fa8047bc84ea6815adb5aa5b88c

(٣) سورة البروج: آية٧، ٨.

(٤) ينظر: "**جامع البيان**" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج٢٤، ص٣٤٣.

(٥) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، (بيروت، جسور للترجمة والنشر، ٢٠٢٠م)، ص٨٤–٨٩.

(٦) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، مرجع سابق، ص٩١.

أن أبره فشل في السيطرة على الحجاز وشمال الجزيرة، مع أن أبره لم يتجاوز مكة. فحين هاجم مكة وحاول هدم البيت بما معه من عتاد عسكري أرسل الله عليه طيرًا أبابيل ترميه وجنده بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول، ولم يواصل المسير للشام كما ادعى خنفر[١] .وإنما أُتي خنفر من قبل المصادر التي يستقي منها معلوماته، وهي مصادر أجنبية كما ذكر في سياق سرده للقصة[٢] . أُتي من قبل ثقته وإصغائه لغير المسلمين، وتأثره بهم ونقله عنهم، ولم يلتف كثيرًا للوحي مع أنه محكم البيان، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾[٣] والمعنى "ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة"[٤] فكان سعيهم لتخريب الكعبة لا للسيطرة على طرق التجارة. وعنده أن الإيلاف– الذي أسسه هاشم بن عبد مناف وإخوانه– أثمر تجارة كبيرة كانت ذات شأن حتى "أضحت مكة مركزًا يربط أربعة أسواق كبيرة: الشام والعراق واليمن والحبشة، وخاصة في وقت الحروب بين الدول الكبرى (الفرس والروم)، وكانت التجارة القرشية تستفيد من اختلاف المواسم والأجواء"[٥]، ويتحدث عن أن قريشًا– في الجاهلية– انتهجت نهجًا اقتصاديًا خالصًا، فحافظت على حالة من "عدم الانحياز السياسي" حيال الصراعات، وأنها كانت تصل بين المتصارعين (الفرس ومن والاهم من العرب وخاصة المناذرة والروم ومن والاهم

(١) أكد هذا الادعاء في حلقاته المتلفزة التي قدّم فيها عرضًا لكتابة (الربيع الأول). انظر: "الربيع الأول: الحلقة الثالثة/ صراع على اليمن"، من الدقيقة ١١–١٣. أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٦، من الرابط: الربيع الأول : الحلقة الثالثة | صراع على اليمن – YouTube

(٢) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، مرجع سابق، ص٩٠– ٩١.

(٣) سورة الفيل.

(٤) ينظر: "**جامع البيان**" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج٢٤، ص٦٢٧.

(٥) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، مرجع سابق، ص ٤٢.

من العرب وخاصة الغساسنة) في مجال التجارة[١]، وذلك لكي تكون قوية تجاريًا، ولكي لا يقضى عليها كما فُعل بنجران.

وهذه المشاهد الثلاثة (التجارة في قريش، وإبادة نصارى نجران، وحملة أبرهة الحبشي على الكعبة) التي يتمحور حولها "وضّاح خنفر" في قراءته للبعثة المحمدية تبين مدى تغلغل البعد الاقتصادي في فهمه للوحي تبين سيطرة البعد الاقتصادي .

وتتمثل الفكرة الكامنة وراء الأطروحات التي تضخم البعد الاقتصادي في محاولة إيحاء أن قريشًا حين اغتنت من التجارة بحثت عن سيادة سياسية على العرب والعالم، فكانت البعثة المحمدية، ويتضح هذا الفهم، أكثر، من حديثهم عن تطور قريش من قبائل تسكن البادية حول مكة إلى دخولهم الحرم أيام قصي بن كلاب، ثم ظهور الإيلاف مع القبائل التي على الطريق إلى اليمن والشام، فالأحلاف (حلف المطيبين وحلف لعقة الدم، ثم حلف الفضول)، فالبعثة المحمدية. وهذه الأفكار أُنتجت من محض الخيال، فتجارة قريش كانت شيئًا يسيرًا لم يظهر أثره في مساكنهم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾[٢] ، المعنى: " أي أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا"[٣]، ولم يظهر أثره في بناء قوة عسكرية أو تشييد مؤسسات تجارية، بل ظلت تجارة أفراد أقصى ما يستطيعونه إطعام الطعام في المواسم، ولم تستطع قريش تكوين قوة عسكرية أو الخروج من وديان مكة وفرض رؤية سياسية على غيرها ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

(١) ينظر: "**الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية**" لوضّاح خنفر، مرجع سابق، ص٨٣–٨٤.

(٢) سورة مريم: آية٧٤.

(٣) ينظر: "**جامع البيان**" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٤١.

يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1]، (أي وعمروها أولئك أكثر مما عمروها هؤلاء فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم)[2]. والبعثة المحمدية (الوحي) لم تحظَ بأدنى دعم من قريشٍ، بل كانت قريش أول من حارب الله ورسوله ﷺ ، ومن أوائل ما فعلوه مقاطعة تجارة من أسلم فكان أبو جهل يقول لمن آمن بالله وما أنزل على محمد، صلى الله عليه وسلم: "لنسفِّهن حلمك، ولنقيلن رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرًا قال: والله لنكسدن تجارتك؛ وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به"﴾ [3]، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة فقراء لا يملكون شيئًا ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾[4]، فلم يكن الوحي تطورًا للحالة الاقتصادية، أو استفاد من الوضع الاقتصادي (التجاري) لقريش، بل كان ذلك ضد الذين آمنوا بالله وما أنزل على رسوله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[5]، والمعنى: " أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله"[6].

وثمة مدخلٌ معاكس جاء منه الذين تأثروا بأقوال الكافرين في تفسيرات الوحي. يتمثل هذا المدخل في كتابات سيد القمني، حيث ادعى أن البعثة المحمدية تحركت خلف المال، بمعنى أنها لم تكن ثمرة لوفرة مالية كما ادعى

(١) سورة الروم: آية٩.

(٢) وينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، ج١٤، ص٩.

(٣) "**السيرة النبوية: من البداية والنهاية**" لإسماعيل بن كثير، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م)، ج١، ص٤٩٥.

(٤) سورة الحشر: آية٨.

(٥) سورة الأنفال: آية ٣٦.

(٦) ينظر: "**مفاتيح الغيب**"، لأبي عبد الله محمد الرازي (الفخر الرازي)، مرجع سابق، ج١٥، ص٤٨١.

الذين مروا بنا في هذا البحث، وإنما تحركوا وراء المال يبحثون عنه. يقول: من أجل السيطرة الاقتصادية على التجارة في مكة والجزيرة العربية، وأن النبي ﷺ هاجر للمدينة لمكانها الاقتصادي والتجاري(١)، وأنه ﷺ جذب الاتباع (الصحابة رضوان الله عليهم) من خلال الإغراء بالمال، يقصد الغنائم من الحرب(٢)؛ وادعى القمني أن مكة والمدينة كانتا تتحكمان في أكبر ممر تجاري في العالم(٣). وغير صحيح مطلقًا، فلم تكن أي منهما على طريق التجارة، بل مدينة "ينبع" ومدينة "جدة" هي التي على طريق التجارة وأما "مكة" و"المدينة" فهما بداخل الصحراء على بعد مسيرة أيام من طريق التجارة؛ وهو بنفسه يعترف بأن المدينة المنورة مزقتها الحروب قبل الإسلام، وكذلك كانت التجارة في مكة والمدينة خاصة بأهلها وبمن يَفِدْ على مكة في موسم الحج وليس طوال العام(٤)، إذ كان للعرب مواسم أخرى للتجارة وبيوت أخرى للعبادة غير البيت الحرام، وأصنام رئيسية في أماكن متفرقة يجتمعون حولها ويمارسون الطقوس الدينة والتجارة(٥). وتاريخ مكة في أيام

(١) ينظر: "**الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية: دور الحزب الهاشمي والعقيدة الحنفية في التمهيد لقيام دولة العرب الإسلامية– مدخل إلى قراءة الواقع الاجتماعي لعرب الجاهلية وإفرازاته الأيديولوجية**" **سيد محمود القمني**، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧)، مرجع سابق ص٧–١٠.

(٢) ينظر: "**الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية: دور الحزب الهاشمي والعقيدة الحنفية في التمهيد لقيام دولة العرب الإسلامية– مدخل إلى قراءة الواقع الاجتماعي لعرب الجاهلية وإفرازاته الأيديولوجية**" سيد محمود القمني، مرجع سابق.

(٣) ينظر: "**الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية: دور الحزب الهاشمي والعقيدة الحنفية في التمهيد لقيام دولة العرب الإسلامية– مدخل إلى قراءة الواقع الاجتماعي لعرب الجاهلية وإفرازاته الأيديولوجية**" سيد محمود القمني، مرجع سابق، ص١٧.

(٤) ينظر: "**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**" لجواد علي، (بغداد، مطبوعات جامعة بغداد، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٤، ص٢٠.

(٥) ينظر: "**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**" **لجواد علي**، مرجع سابق، ص٢٢٧– ص٤٤٩. ويستنبط ذلك مما ورد في غزوة بدر الثانية من أن الصحابة تاجروا وربحوا بالدرهم درهمين. ينظر: "**الرحيق المختوم**" لصفي الرحمن المباركفوري، (بيروت، دار الهلال، د.ت)، ص٢٧٣.

قصي وإلى ظهور الإسلام، وكذلك تاريخ "المدينة المنورة" قبل الإسلام، لا يخلو من غموض ومن لبس وتناقض، شأنه في ذلك شأن أي تأريخ اعتمد على الروايات الشفوية واستمد مادته من أقوال الناس ومن ذكرياتهم عن الماضي البعيد"[1]، ما يعني أننا لسنا أمام حقائق تاريخية مدونة وإنما تكهنات جل مادتها من الشعر والأدب.

(١) ينظر: "**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**" لجواد علي، مرجع سابق، ج٤، ص١٨. وفي ص ١٣٢

## الخـــاتمـــــــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:-

حاولتُ المساهمة في الكشف عن ظاهرة تحدث عنها الله العليم الخبير في كتابه، وهي ظاهرة السماعين للكافرين.. أولئك المتأثرين بخطابهم، وذلك فيما يتعلق بفهم الوحي المنزل من الله على رسوله، وقمت برصد أهم المداخل الرئيسية التي اقترب منها هؤلاء حال تفسيرهم للوحي، وهي الاقتراب من خلال ادعاء أن البعثة حالة من التعلم على يد الأقران، وادعاء أن البعثة المحمدية كانت من أثر الصفات الشخصية التي تحلى بها الرسولﷺ كالعبقرية وحسن التدبير (التخطيط الاستراتيجي)، والاقتراب من خلال مدخل سياسي واقتصادي. وهي أقوال، رُغم فداحتها وبعدها عن صريح الكتاب والسنة، منتشرة يرددها مسلمون، بل دعاة يدعون الناس للإيمان بالله وما أنزل على رسوله ﷺ.

ومن خلال معالجة هذه المداخل الفرعية تكشف الدراسة عن أننا أمام قاعدة كلية ينطلق منها هؤلاء جميعًا، وهي الانطلاق من مسلمة علم الاجتماع الغربي المعاصر (حتمية تأثير البيئة والعوامل الوراثية). وأعتقد أن على من أراد التصدي لشبهات هؤلاء أن يأتيهم من هذا المدخل. أن يبين لهم ولمن يصغي إليهم أن النبي ﷺ صناعة ربانية خالصة، وأنه كما وصفه ربه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1]، وكما جاء في القرآن الكريم على لسانه الشريف ﷺ: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾[2]، وقمت بالرد على أقوالهم بما يناسب المقام فلا يجمل أن نأتي بالشبهة ونمر دون

(١) سورة النجم: آية٤.

(٢) سورة الأنعام: من الآية٥٠.

الرد عليها. وأرجو أن ييسر الله لي، أو لباحثٍ آخر، ردًا مفصلًا، وخاصة مع انتشار أقوال هؤلاء في مواد مكتوبة ومسموعة ومشاهدة، وتلقي عدد غفير من المسلمين، وغير المسلمين، لها بالقبول.

وضمنًا حاولت بيان تعرض الشريعة لمحاولة إعادة تفسير من خلال مفاهيم المذاهب العلمانية، وكذلك بيان خطر حضور أولئك الذين لم يستفيدوا من التراكمية العلمية والمنهجية التي يقوم عليها الأزهر الشريف (علوم القرآن هنا).

**وانتهيت إلى عددٍ من النتائج، من أهمها:**

١) لم تظهر هذه الأفكار شديدة الغرابة بين المسلمين إلا بعد أن انتشرت كتابات وأفكار المستشرقين والمنصرين بين ظهرانينا، وخالطنا المستشرقون بأشخاصهم في المحافل التعليمية والفضاءات الثقافية والإعلامية، وتتلمذ بعض أبناء الأمة على أيديهم في الأكاديميات والمحافل التعليمية، بمعنى أن عامة هذه الأطروحات من بنات أفكار المخالف وليست من الداخل الإسلامي ابتداءً.

٢) يتفرع على النتيجة السابقة ملاحظة أن عامة المتحدثين بهذه الشبهات ليسوا من دارسي الشريعة على يدع علمائها، وإنما ممن درسوا العلوم الإنسانية الغربية ونظروا في الشريعة بأنفسهم دون مُعلم.

٣) المتحدثون بالشبهات لم يخرجوا عما تحدث به مشركو قريش، والذين كفروا من قبلهم ومن بعدهم، فقد انحسرت أقوالهم، بين ادعاء أن الوحي حالة من الجنون والسحر والكهانة، أو التعلم على يد بشر آخر، أو إرادة الملك والسيطرة، وكل ذلك قاله مشركو قريش ورد الله عليهم بقرآن يتلى إلى يوم القيامة. لذا لا نكاد نخرج عن الكتاب والسنة حال الرد على هؤلاء.

٤) تفتقد آراؤهم المعقولية في تكوينها، وحين نضع أقوالهم بجوار بعضها نجد أنها تتضارب وينفي بعضها بعضًا: فهل كانت مكة نصرانية؟، وهل تعلم

النبي من النصارى وردد أقوالهم، وقد كان يخالفهم ويدعوهم إلى الإسلام، بل قاتلهم (غزوة تبوك) ليؤمنوا؟، أم علّم نفسه بالسفر ودراسة حالة الأمم المتقدمة؟، أم كان في سياق أجداده: قصي بن كلاب وهاشم بن عبد مناف وعبد المطلب بن هاشم يسعى إلى أن تتحول قريش من القبيلة إلى الدولة؟ أم كان مصلحًا اجتماعيًا تألم لحال مجتمعه بما فيه من فقر وظلم، مع أنه لم يسجل عليه أي فعل في هذا الاتجاه قبل البعثة؟ كل هذا لا يصح ابتداءً، ولا يجتمع، والقول به أمارة على أنها حالة من الصد عن سبيل الله وفقط.

٥) الخيط الناظم لهذا التضارب في تفسير الوحي هو أن كل من اعتنق مذهبًا علمانيًا معاصرًا حاول قراءة الوحي من خلال رؤيته المذهبية الضيقة. فالذي آمن بأن التاريخ صناعة حفنة من المميزين (العباقرة) رأى النبي ﷺ عبقريًا خطط وأدار ونفذ؛ ومن كان همه تشجيع الشباب على العمل راح يدعي أن النبي ﷺ وأصحابه اجتهدوا وعلينا أن نسير على خطاهم، ومن آمن بأن البيئة تؤثر كليةً في الفعل ولا يمكن إحداث تغيير جذري في مدة زمنية قصيرة (جيل) ادعى أن للوحي جذورًا تاريخية في البيئة المكية والعربية، وهكذا.

**والحمد لله رب العالمين. اللهم توفيقًا وبركة، إنك كريم منان،،،**

## المـــراجـــع

**الكتب:**


١. إبراهيم مصطفى وآخرون، "المعجم الوسيط"، تحقيق مجمع اللغة العربية، (القاهرة، دار الدعوة، د.ت).

٢. إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٣. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، " تفسير القرآن العظيم"، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٥٠هـ/ ١٩٩٩م).

٤. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، "الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام"، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٥. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٦. أبو عبد الله محمد الرازي (الفخر الرازي)، "مفاتيح الغيب"، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٧. أبو موسى الحريري (جوزيف قزّي)، "أعربي هو؟!: بحث في عروبة الإسلام"، (بيروت، دار لأجل المعرفة، ٢٠٠٧م).

٨. أبو موسى الحريري (جوزيف قزّي)، "قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام"، (لبنان، دار لأجل المعرفة، ٢٠٠٥).

٩. أبو موسى الحريري (جوزيف قزّي)، نبي الرحمة: بحث في مجتمع مكة، (لبنان، دار من أجل المعرفة، ١٩٩٠م).

١٠. أبو موسى الحريري (جوزيف قزّي)، نظرة مسيحية في الإسلام، (بيروت، نَسْبِيه، ٢٠٠٤م).

١١. أحمد غراب، "رؤية إسلامية للاستشراق"، (لندن، المنتدى الإسلامي،١٩٩٠م).

١٢. إسماعيل بن كثير، "السيرة النبوية: من البداية والنهاية"، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).

١٣. القاضي عياض، "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، (بيروت، دار الفكر

العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
١٤. باتريك هايني، "إسلام السوق"، ترجمة عومرية سلطاني، (القاهرة، مدارات للنشر، ٢٠٠٥).
١٥. توفيق فهد، "الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العرّاف، الرّب، ذو إله، الحُمس"، ترجمة: حسن عودة، رندة بعث، (بيروت، قَدْمُس للنشر والتوزيع،٢٠٠٩).
١٦. جواد علي، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، (بغداد، مطبوعات جامعة بغداد، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
١٧. خليل عبد الكريم، "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية"، (القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٠).
١٨. خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، (القاهرة، دار مصر المحروسة، ٢٠٠٤).
١٩. خليل عبد الكريم، "مجتمع يثرب: العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي"، (القاهرة: سيناء للنشر، ١٩٩٧م).
٢٠. سيد محمود القمني، "الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية: دور الحزب الهاشمي والعقيدة الحنفية في التمهيد لقيام دولة العرب الإسلامية– مدخل إلى قراءة الواقع الاجتماعي لعرب الجاهلية وإفرازاته الأيديولوجية"، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧).
٢١. صفي الرحمن المباركفوري، "الرحيق المختوم"، (بيروت، دار الهلال، د.ت).
٢٢. عباس محمود العقاد، "الله"، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٣).
٢٣. عباس محمود العقاد، أنا، (القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٥).
٢٤. عباس العقاد، "عبقرية محمد"، (القاهرة، مؤسسة هنداوي،٢٠١٢).
٢٥. عباس محمود العقاد، "مطلع النور"، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢).
٢٦. عباس محمود العقاد، "إبراهيم أبو الأنبياء"، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م).
٢٧. عباس العقاد، "حياة المسيح: في التاريخ وكشوف العصر الحديث"، (القاهرة،

دار نهضة مصر،٢٠٠٥).
٢٨. عباس محمود العقاد، "موسوعة عبَّاس العقَّاد الإسلامية المجلد الأول: توحيد وأنبياء"، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م).
٢٩. عباس محمود العقاد، "عبقرية خالد"، (القاهرة، نهضة مصر،٢٠٠٥).
٣٠. عباس العقاد، "إبليس"، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع ٢٠١٣).
٣١. عبد الرحمن بن خلدون، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٣٢. عبد المتعال الجيري، "الاستشراق وجه الاستعمار الفكري"، (القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٥م).
٣٣. عبد الملك بن هشام، "السيرة النبوية لابن هشام"، (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).
٣٤. عبد الملك بن محمد الثعالبي، "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"، (القاهرة، دار المعارف،٢٠٠٩).
٣٥. علي إبراهيم الحمد النملة، "التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته"، (القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع،١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٣٦. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن، (الرياض، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٣٧. محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
٣٨. محمد بن إسحاق، "سيرة ابن إسحاق [كتاب السير والمغازي]"، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
٣٩. محمد أركون، "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، ترجمة هاشم صالح، (بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٦م).
٤٠. محمد أركون، "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ترجمة هاشم صالح، (بيروت، دار الساقي، ١٩٩٩م).

٤١. محمد حسين علي الصغير، "المستشرقون والدراسات القرآنية"، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م).
٤٢. محمد الطاهر بن عاشور، " التحرير والتنوير"، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠/٢٠٠٠).
٤٣. محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان" للإمام، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٤٤. محمد بن جرير الطبري، " تاريخ الرسل والملوك" للإمام، (بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ).
٤٥. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).
٤٦. محمود حمدي زقزوق، "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٤٧. مسلم بن الحجاج، " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
٤٨. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، " أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤١٨هـ).
٤٩. هشام جعيط، "في السيرة النبوية١: الوحي والقرآن والنبوة"، (بيروت، دار الطليعة،٢٠٠٠م).
٥٠. وضَّاح خنفر، "الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية للسيرة النبوية"، (بيروت، جسور للترجمة والنشر، ٢٠٢٠م).
٥١. وائل لطفي، "الدعاة الجدد: الدعوة.. الثروة.. الشهرة"، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٥).
٥٢. وِل وَايريْل ديورانت، "قصة الحضارة"، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

**مواقع إلكترونية :**


١. أحمد إبراهيم خضر، "علم الاجتماع: غبش في التصور وتشويش في النظرية"، موقع الألوكة، أخذ بتاريخ٢٠٢٢/١٢/٢٢: https://cutt.us/FVt9x

٢. خدلون الشرقاوي، "خليل عبد الكريم الشيخ الأحمر"، موقع حفريات، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٣:https://cutt.us/oaene

٣. رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٦/١. أخذ من موقع "الكتاب المقدس" بتاريخ ٢٠٢٢/٦/١٢:
https://www.enjeel.com/bible.php?op=read&bk=48

٤. عمار مُنْلا، " المسائل التي خالف فيها صلى الله عليه وسلم أمر الجاهلية في الحج"، موقع رابطة العلماء السوريين، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٢/١ من الرابط: https://islamsyria.com/site/show_articles/12856

٥. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/7SQR5

٦. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ٤ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/mlEOw

٧. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ١٠ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/QpZIJ

٨. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ١٢ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/MVRXZ

٩. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ١٥ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/jpt4p

١٠. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ١٦ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/aPeP5

١١. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة١٨ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/6jxv9

١٢. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ٢٠ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/PG9XB

١٣. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ٢١ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/DnolE

١٤. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة ٢٢ أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/WPihD

١٥. عمرو خالد، "على خطى الحبيب"، الحلقة٢٣، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٨ من الرابط: https://2u.pw/RQ7X4

١٦. موفق محادين ، "هل يخرج العرب من التاريخ"، موقع "رصين" أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٥/٢٦ من الرابط: http://rasseen.com/art.php?id=1f34362bd6498fa8047bc84ea6815adb5aa5b88c

١٧. موقع الحركة الثقافية– أنطلياس، "ذكرى العلامة توفيق فهد"، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥، من الرابط: https://cutt.us/AYhEX

١٨. موقع المعرفة، "هشام جعيط" ، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥ من الرابط: https://cutt.us/yagtP

١٩. موقع أراجيك، "من هو وول ديورانت"، أخذ من الرابط: https://www.arageek.com/bio/will-durant

٢٠. موقع منتدى الشرق الأوسط، قسم فريق العمل، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٥: https://www.sharqforum.org/ar/#team

٢١. منقذ محمود السقار " الإنجيل الصحيح.. إنجيل المسيح"، موقع طريق الإسلام، قسم المقالات، أخذ بتاريخ ٢٠٢٢/٥/١٣، من الرابط: https://2u.pw/0TSYG